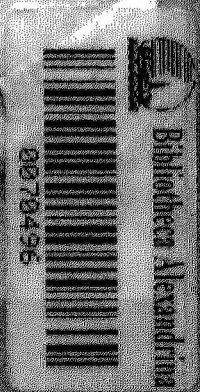
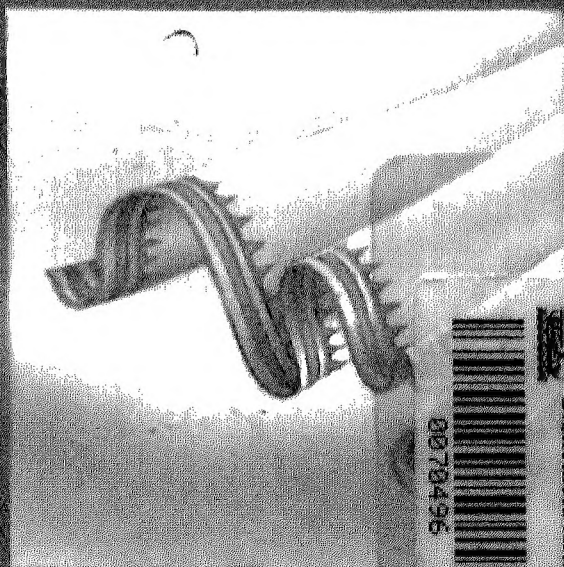


دكتور مصطفى النشار

مدخل القراءة الفكر الفلسفي

عند اليونان



دار الفكر للنشر والتوزيع
بيروت

مَدْحُ الْقُرْآنِ الْفَكْرِ الْفَلَسْطِينِي
عِنْدَ الْيُونَانِ

رَكْرُورُ طَعْنَى النَّسَارِ

أستاذ الفلسفة القديمة
كلية الآداب - جامعة القاهرة

مَدْخَلُ الْقِرَاءَةِ فِي الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ عِنْدَ الْيُونَانِ

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عمده غريب

الكتاب : مدخل لقراءة الفكر الفلسفي

عند اليونان

المؤلف : د. مصطفى النشار

نارح النشر : ١٩٩٨م

حقوق الطبع والترجمة والافئاس محفوظة

الاسر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غويب

شركة مساهمة مصرية

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (١)

ت: ٣٦٢٧٧٧ / ١٥٠

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج امون

الدور الأول - شقة ٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

رقم الإيداع . ٩٧ / ٨٥٢٢

الترقيم الدولي . I. S. B. N.

8 - 41 - 5810 - 977

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى عشاق الفكر اليوناني
ومحبي الحكمة القديمة
أهدى هذا الكتاب

المؤلف

تصدير

لماذا هذا المدخل؟!

فى مطلع النسمينات وكنت آنذاك أعمل بجامعة الإمارات العربية المتحدة بدولة الإمارات فى مدينة العين. طلب إلى مجموعة من الزملاء أن نعد المادة العلمية لمساق (مادة) تطور الفكر الفلسفى التى تدرس على مستوى الجامعة ويختارها الطلاب من بين حوالى أربعة عشر مادة مطروحة للدراسة فى مجال العلوم الإنسانية عليهم أن يختاروا منها اثنين فقط.

وبالطبع اجتمعنا وشغل كل منا بكيفية الكتابة فى العصر الذى تخصص فيه بحيث يعرضه بأبسط صورة ممكنة وبالتركيز على المشكلة الرئيسية فى هذا العصر ومن خلال نماذج محددة للفلسفة فيه.

ولقد فكرت ملياً فى العصر اليونانى الذى اصطلح بين معظم المؤرخين للفلسفة على أنه هو بداية الفكر الفلسفى وهو الأساس الذى انطق منه وبنى عليه كل الفلسفة فى العصور الفلسفية النائية من العصر الوسيط (الإسلامى والمسيحى) حتى الآن.

وقد وجدت أن مداخل كثيرة يمكن تناول العصر اليوناني من خلالها أسهلها في التناول والعرض هو المدخل الذي يتناول عرض هذه الفلسفة عرضاً تاريخياً منظماً فيعرض لنشأة الفلسفة عند اليونان في القرن السادس قبل الميلاد ثم يتناول بالشرح المدارس الفلسفية المختلفة منذ هذا القرن وحتى بدايات العصر الوسيط. وقد وجدت أن هذا المدخل التقليدي مدخل سيجعل من دراسة الفكر الفلسفي عموماً والفكر اليوناني خصوصاً غاية في الصعوبة على الطلاب لأنه سيحشد العديد من الأسماء والمدارس الفلسفية وعشرات الأفكار الفلسفية خاصة فيما يتعلق بفلسفات الطبيعة التي سيملون منها ولن تحقق أدنى استفادة اللهم إلا حفظ أسماء فلاسفة اليونان الأوائل واجترار أفكارهم الأولى التي أصبحت في ضوء العلم الحديث بلا فائدة تذكر! ولا يصح أن نشغل بها إلا من يتخصص في دراسة الفلسفة عند اليونان.

أما المدخل الثاني الذي كان يمكن أن أعرض من خلاله هذه الحفة اليونانية في إطار تطور الفكر الفلسفي الإنساني، هو تناول أهم المشكلات التي أهتم بدراسة فلاسفة اليونان والتي يمكن عرضها واحدة بعد الأخرى ويصبح الفلاسفة في هذا الإطار مجرد أمثلة على كيفية تناول اليونان لهذه المشكلة أو تلك

من المشكلات التي شغلوا بها. وهذا النهج انتهجه أولف جيجبن في كتابه "المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية" والذي نقله د. عزت قرني إلى اللغة العربية. لكنني وجدت أن هذا المدخل سيشكل صعوبة أخرى أمام القارئ العام لسبب بسيط هو أن اليونانيين لم يتركوا مشكلة من مشكلات البحث الفلسفي إلا وطرحوها للمناقشة والبحث. ومن ثم فإن تناول هذه المشكلات سيدعونا إلى تكرار أسماء الفلاسفة وكيفية تناولهم لهذه المشكلة أو تلك أكثر من مرة وبأكثر من طريقة مما سيصيب القارئ أيضاً بالملل من كثرة الاجترار والتكرار!

وقد جعلني التفكير في الصعوبات التي ستواجهني وتواجه القارئ في هذين المدخلين أتجه إلى التفكير في مدخل ثالث ربما يكون أكثر جدوى وأدعى إلى الوفاء بالغرض وأوفق إلى تحقيق هدفى من قراءة الفكر اليونانى وتطوره بصورة جديدة معبرة عن بعض ارائى الخاصة فى الفلسفة اليونانية سواء من حيث ظروف نشأتها أو من حيث تطورها أو من حيث بنية هذا التطور والياته الفكرية والفلاسفة الذين كان لهم الفضل في إرساء دعائم هذا التطور، ونقل الفكر اليونانى من فكر أسطوري غامض إلى فكر عقلانى متحرر؛ من فكر أستند على الأسطورة

ونشأ متأثراً بالديانات المختلفة شرقية كانت أو يونانية، إلى فكر رافض لنظام الأسرار الدينية والصوفية وداع إلى مشاركة الجميع في بناء الحياة الإنسانية؛ من فكر ظل قابعا في بحث أسرار الطبيعة والكون لفترة طويلة إلى فكر يدعو إلى النظر في قضايا الإنسان وبحثها؛ فأسرار الطبيعة لن يعرفها أولئك الماديون الذين تصوروا أن منتهى البحث في الطبيعة هو ردها إلى عناصرها المادية الأربعة، ولا أولئك الذين أولوها تأويلات أسطورية غامضة تعمد على الرياضيات أو تضرب فيما وراء هذا الوجود المحسوس بصورة مبهمة غامضة. فالطبيعة كما قال سقراط صنعها "الإله" وهو الذي يعرف أسرارها. وعلينا أن نترك الخلافات فيما بيننا حولها - تلك الخلافات التي صورها على أنها كالإختلاف بين تصورات المجانين - لنبحث أولاً في أنفسنا لعل فهم النفس البشرية بصورة جيدة يقودنا إلى فهم أدق وأفضل للطبيعة الإنسانية وللطبيعة الخارجية على حد سواء.

وبالطبع فلم يكن سقراط وحده الذي قاد هذا التحول من التفكير في الطبيعة إلى التفكير في الإنسان: ماهيته التي تعينه! لأن بروتاجوراس ومعه من عرفوا في ذلك الوقت

بالسوفسطائيين هم أول من نفت الأنظار إلى ذلك حينما أعلن كبيرهم بروتاجوراس عبارته الشهيرة "إن الإنسان هو معيار الأشياء جميعاً". لقد كانت هذه العبارة كافية لأن يستخرج منها بروتاجوراس وأتباعه من السوفسطائيين خطباء ومجادلين وأدباء وفلاسفة ومعلمين .. إلخ، تلك النتائج الهامة التي دعت كل اليونانيين لأن يعيدوا النظر في كل شيء! فلم يعد هناك شيء مقدس ولم يعد هناك مالا يمكن أن نخضعه للبحث من وجهة نظر شخصية بحتة. لقد أطلق بروتاجوراس هذه العبارة الشهيرة وقصد منها أن كل فرد هو معيار وجود الأشياء وعدم وجودها، هو معيار خيرية الأفعال أو شريتها فما يراه خيراً هو خير بالنسبة له حتى لو رأى أن في القتل خيراً أوفى السرقة أو غير ذلك، وما يراه شراً هو شر بالنسبة له حتى لو أجمع الآخرون على أنه الخير!!

وهكذا أطلق بروتاجوراس الشرارة الأولى لثورة فكرية وفلسفية لم ينجح سقراط بكل براعته الجدلية أن يخمدتها ولا أن يحد من انتشارها بين أفراد الشعب الأثيني خاصة والشعوب

اليونانية عامة. لقد حاول سقراط جاهداً أن يعيد للتقاليد الأتينية العريقة وجودها ورونقها سواء في المجال الأخلاقي أو في مجالات السياسة والدين فلم ينجح مطلقاً لأن النتيجة كانت أن الجميع تأمروا عليه وقدموه للمحاكمة التي انتهت بإعدامه. وبقي السوفسطائيون أحياء يعلمون الناس الفضيلة بالصورة التي أراد كل واحد منهم أن يتعلمها! لقد تغير الحال إذن وأصبح الأثينيون على أعتاب عصر جديد احتاج لوجود فلاسفة أفذاذ من أمثال أفلاطون وأرسطو ليعيدوا للعقل الإنساني هيئته وللأخلاق والقيم الثابتة المتفق عليها وجودها، وللعقيدة الدينية وضرورة الإيمان بالآلهة دورها في المجتمع اليوناني.

تلك صورة عامة للملامح العامة لما أراه جوهرياً في الفكر الفلسفي اليوناني من حيث طبيعة تطوره، فالتطور الكبير فيه كان في الانتقال من البحث في الطبيعة إلى البحث في قضايا الإنسان. وهذا التطور قاده بروتاغوراس وحفنة من السوفسطائيين، ونوالف ردود الأفعال القوية على هذه الآراء التجريبية الجريئة التي أطلقها بروتاغوراس ورفاقه من كبار فلاسفة اليونان: سقراط وأفلاطون وأرسطو الذين أرسوا الأسس

الصحيحة للتفكير الفلسفي في هذه الفضاءا الإنسانية التي فجرها بروتاجوراس كما صححوا في نفس الوقت التفكير الفلسفي في قضايا الطبيعة والوجود الخارجى؛ فأقاموا فلسفاتهم الإنسانية الخالدة على رؤى محددة للعلاقة بين وجود الطبيعة الخارجية ووجود "الإله". إذ لا يصح في نظرهم فهم الطبيعة إلا بفهم أن لها الصانع الذي صنعها والعلة التي أوجدتها. وإذا كان ذلك كذلك فإن الإنسان وهو أهم كائنات الطبيعة عليه عبء معرفة حقيقة هذا العالم وهذا الوجود. وهذا لن يتأتى للإنسان إلا إذا أعمل كل وسائل المعرفة لديه وأخلص، بل وتفرغ للبحث والتأمل حتى يصل إلى إدراك هذه الحقيقة الفصوى للوجود. وإذا اقتنع الإنسان بأن هذه هي مهمته فإن هذا هو دوره الأساسى في الوجود، فإن سلم القيم لديه سوف يتغير حيث ستكون أسمى فضائله هي فضيلة التأمل النظري للوجود، فهي أعلى من ممارسة تلك الفضائل العملية في حياته الأخلاقية العادبة مع الآخرين وفي ظل المجتمع الإنسانى. ذلك ما انتهى إليه أرسطو الذي يمثل قمة النضوج للفكر اليونانى، فهو الذي ربط بين الفضيلة والمعرفة مستفيداً في ذلك من سابقه سقراط

وأفلاطون. لكنه فاقهما في التمييز بين نوعين من الفضائل؛ فضائل أخلاقية عملية يمارسها الإنسان الفرد وسط الآخرين وفى وجود المجتمع ولا تصلح الحياة الاجتماعية والسياسية للإنسان إلا بها مثل فضائل الشجاعة والنقوى والكرم والصدق والوفاء بالوعود والأمانة .. إلخ، وفضيلة التأمل النظري التي يمارسها الإنسان بوصفه الكائن العاقل الذي أوكل إليه فهم حقيقة الوجود والارتقاء إلى إدراك ماهية الوجود الإلهي.

تلك الرؤية الأرسطية التي تحاول التوفيق بين الواقع والمثال في البحث الأخلاقي هي نفسها التي تحاول التوفيق بين الواقع والمثال في السياسة وفي الوجود وفي كل مجالات البحث الفلسفي الأخرى. وهي الرؤية التي كان من الضروري أن ينتهي إليها الفكر الفلسفي اليوناني في هذا العصر طبقاً لتطوره الطبيعي. فاكتماله لم يكن ليكون إلا بهذه الصورة التي توقف عندها الإبداع اليوناني الأصيل في مجالات الفكر الفلسفي. وهي الرؤية التي سيحاول فلاسفة اليونان الذين أتوا بعد أرسطو التوفيق بينها وبين ما وجدوه في الشرق من رؤى جديدة. ذلك التوفيق الذي كان ضرورياً حسب الظروف السياسية والاجتماعية التي استجدت بعد الأمبراطورية المقدونية التي

حاول مؤسسها الملك فيليب ومن بعده ابنه الاسكندر أن يجعلوا من الشرق والغرب دولة واحدة تنصهر بداخلها الثقافات المتباينة وتصبح ثقافة أنسانية واحدة. وبالطبع كان مؤسسوا الامبراطورية يتصورون أن الثقافة اليونانية ستكون هى الثقافة السائدة وستصبح هى الثقافة الإنسانية المنشودة؛ ولكن خاب ظنهم فما حدث هو أن الفكر اليونانى انصهر في بوتقة الفكر الشرقي الذي هو أقدم منه زمانياً وأعمق منه في التعبير عن روح الإنسان وعلاقته بالكون والإنسان والإله، فأصبح من أخص خصائص الفكر الفلسفى في هذا العصر التالى لأرسطو أنه اصبح مزيجاً من الفكر الشرقى والفكر اليونانى وهذا ما نلمحه بوضوح شديد في أهم التيارات الفلسفية في العصر الهلينيستي (عصر ما بعد ارسطو في الفكر اليونانى) التيار الرواقي الذي كان معظم فلاسفته من أصول شرقية وعبروا فى فلسفاتهم عن تلك الروح الجديدة التى امتزج فيها ما هو شرقى بما هو يونانى امتزاجاً لا تستطيع أن تفصل فيه بين ما هو عقلى - استدلالى بما هو حدسى روحاني.

على هذا النحو كان تطور الفكر اليونانى في عصره الرئيسيين؛ العصر الهليني أى العصر الذي يبدأ بنشأة الفلسفة عند اليونان في القرن السادس على يد طاليس وحتى أرسطو،

والعصر الهلينيستي أى عصر ما بعد أرسطو . فكل عصر له لاشك خصائصه المميزة وروحه المخالفة . وبالتالي فمن الضروري معرفة خصائص كل عصر قبل الدخول دائماً في الحديث عن تفاصيله . وهذا ما وجدته ضروريا في هذا المدخل الجديد لقراءة تطور الفكر الفلسفي عند اليونان ، فحددت لكلا العصرين خصائصه المميزة . وبالطبع كان التركيز على العصر اليوناني الأول لأنه هو الممثل الحقيقي لطبيعة الفكر اليوناني الخالص والذي بلغ فيه هذا الفكر قمة تطوره ونضجه .

إن القارئ لهذا المدخل الجديد سيلاحظ أننا ركزنا بالفعل على عرض أهم خصائص الفكر اليوناني في عصره الأول نم عرضنا بنسب من التفصيل لتطور البحث في مشكلات وقضايا الإنسان فقط وذلك عن عمد . ففي اعتقادي الشخصي أن أهم ما قدمه اليونان من اسهام فى الفكر الإنسانى هو التركيز في تلك الحفبة الزمنية فيما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد على بحث ماهية الإنسان وكيفية معالجة قضاياها بالشكل الأمثل سواء فى مجالات علاقته بالعالم الطبيعى والوجود الخارجى ، أو علاقته بغيره من البشر سواء فى مجتمع الأسرة أوفى مجتمع الدولة ، أوفى علاقته بالإله الخالق - الصانع .

وهذا الاعتقاد لم يتولد لدى من مجرد النظر في الفلسفة اليونانية، وإنما من مقارنتها بفلسفات الشرق القديم، الأقدم منها زماً والأعمق منها نائلاً لقضايا بعينها؛ فمثلاً لم يكن النظر في الطبيعة وردها إلى عناصرها المادية الأربعة فكرة يونانية أصيلة، بل لقد استقفاها فلاسفة اليونان من الفكر الشرقي القديم الذي درج المفكرون فيه خاصة في مصر وبابل على النظر إلى طبيعة الوجود ورده إلى العناصر الأساسية الأولى. وقد امتاز مفكروا الشرق في هذا الصدد بأنهم لم يتوقفوا عند حد العنصر المادي (الماء أو الهواء أو النار) وإنما اعتبروا أن هذه العناصر بداخلها ذلك الروح الإلهية التي جعلتهم يؤلهون هذه العناصر ويرتفعون منها إلى إله أسبق منها هو مثلاً الإله آتوم في التفسير الهليوبوليسى والإله بتاح في التفسير المنفي، والإله أمون في التفسير الهرموبوليسى^(١). وكل ذلك كان في مصر القديمة. نفس الشيء كان في بابل حيث ردوا العالم الطبيعي إلى الماء فقد تردد لديهم القول بأنه قبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط مكان البحر، كما تردد لديهم نظرية للخلق

(١) انظر كتابنا نحو تاريخ حديث للفلسفة القديمة - دراسات في الفلسفة المصرية

واليونانية، الطبعة الثالثة صدرت عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ١٩٩٧،

الفصل الأول، من القسم الأول عن فلسفة الطبع وشأه الوجود في مصر القديمة

تفترض أن الإله قد فكر ودبر قبل أن يأمر فينشأ العالم من خلال هذا الأمر الإلهي. لقد أدركوا القوة الخالقة للكلمة. وهذا الإدراك نجد مثيلاً له في النص المنفي في مصر القديمة عن الخلق. ولناخذ مثلاً آخر؛ فقد آمن أفلاطون بضرورة التمييز بين عالم معقول هو عالم المثل عالم الحقائق الكلية المفارقة للعالم الطبيعي المحسوس، وبين العالم المادي المحسوس. ولا شك أن هذا الاعتقاد الذي يمثل الأساس الذي بنى عليه أفلاطون الجوانب الأخرى لفلسفته يماثل اعتقاد فلاسفة الهند القدامى الذين أدركوا ضرورة التمييز بين العالم الظاهر وبين العالم الروحي الباطني وأدركوا أن الحقيقة ليست في عالم الظواهر وإنما هي في ذلك العالم الروحاني الباطني أي أنها في إدراك ما وراء هذا العالم الطبيعي الظاهر. فالعالم الظاهري عالم يسوده التغير، بينما ما وراءه هو عالم الثبات والحقيقة الواحدة.

وهكذا وفي ضوء مثل هذه المقارنات أدركنا أمرين؛ أولاً: أن نشأة الفلسفة لم تكن معجزة عند اليونان كما يردد المؤرخون للفلسفة اليونانية دون تمحيص وفحص للفكر الشرقي السابق عليه. فالفكر الشرقي في منابعه المتعددة (مصر وبابل والهند وفارس والصين) هو الأسبق وهو الذي قدم المادة

الأغزر التى استند عليها اليونان وتأثروا بها فى نشأة الفلسفة لديهم. فقد نشأت الفلسفة لدى اليونان على ساحل أيونية المتاخم لآسيا والذي شكل نقطة التماس بين اليونان وبلاد الشرق القريبة إليهم. ولما كان اليونانيون قد اشتهروا فى زمانهم بحب الاستطلاع والسفر فقد اطلعوا بلا شك على كل تلك الأفكار الشرقية ونقلوها وتداولوها فيما بينهم. ومنها انطلقت مناقشاتهم حول أصل العالم وطبيعة الوجود.

وثانياً: أن الفكر اليونانى لم ينضج إلا حينما تحول من مناقشة قضايا الطبيعة والاهتمام بها إلى مناقشة قضايا الإنسان ومعرفة ماهيته وكيفية الوصول إلى حلول لكافة المشكلات التى تعترض طريق تقدمه والارتقاء بسلوكه نحو المثل الأعلى فى تكوين الأسرة والدولة والحياة الأخلاقية.

وبالطبع فليس معنى ذلك أن الفكر اليونانى لم يتأثر هنا بالطرح الشرقى لنفس هذه القضايا والمشكلات! فنحن نعتقد أن الفكر اليونانى لم يتوقف فى أى مرحلة من مراحل الاتصال بالشرق والأخذ عنه. ومن ثم فإن فلاسفة اليونان قد تأثروا أيضاً باراء فلاسفة الشرق القديم وحكمائه حول طبيعة الإنسان وأخلاقه وسياسته للدولة .. إلخ.

لكننا نعتقد فى ذات الوقت أن فلاسفة اليونان حينما طرحوا قضايا الإنسان منذ بروتاجوراس وعصر السوفسطائيين طرحوها بشكل عقلانى - تحليلى تجاوزوا من خلاله الطرح الشرقى لنفس القضايا والمشكلات. لقد امتاز الطرح اليونانى منذ بروتاجوراس بالجرأة الشديدة التى لا تخشى أى سلطة فى المجتمع سياسية كانت أو دينية، فقد كان التأمل الفلسفى عند اليونان عموماً تأملاً حراً قام به الأفراد دون أن يخشوا أى تهديد من أى سلطة. وقد توفر لهم الجو الفكرى الملائم والمشجع لهذا التأمل الحر لقضايا الإنسان. ولا شك أن تلك الحرية كان ثمرتها ذلك التحول الديمقراطى الذى تم فى الانظمة السياسية اليونانية وانتقالها إلى ما عرف بالنظم الديمقراطية فى الحكم. ومع هذا التحول الذى ساهم السوفسطائيون فى الاسنفادة منه وتدعيمه عارضه سقراط وأفلاطون وأرسطو وعبروا عن ذلك فى فلسفاتهم دون أدنى خوف أو تردد.

إذن لقد امتاز فلاسفة اليونان فى تأملهم لقضايا الإنسان بالطرح الجريء - المتجدد لكل قضايا الإنسان ورسم الصور المتعددة لما ينبغى أن يكون عليه حال الإنسان فى معرفته وصلته بالوجود وفى تكوينه لأسرته وللمجتمع السياسى .. إلخ.

واستطاعوا فى وقت قصير نسبياً - فبما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد - أن يتوصلوا إلى تقديم العديد من الحلول والتصورات الإيجابية حول هذه القضايا. تلك الحلول والتصورات التى لا تزال تمثل أحد أحجار الزوايا التى تتطلق منها مناقشاتنا لكافة هذه القضايا حتى الآن.

وفى ضوء ادراكنا لهذين الأمرين وتداعياتهما جاء عرضنا لهذا المدخل لفراءة الفكر الفلسفى عند اليونان على النحو الذى سنراه؛ فبدأنا بتقديم صورة عامة جداً للنشأة وبدايات الفكر الفلسفى فى الشرق القديم مركزين فيها على الأفكار الفلسفية الشرفية التى تركت صداها قويا على فكر فلاسفة اليونان. ثم عرضنا بعد ذلك لحصائص الفلسفة اليونانية فى عصرها الأول ليتضح أمام القارئ صورة الفكر اليونانى فى هذا العصر والمشكلات التى طرحت فيه.

وانقلنا بعد ذلك إلى تقديم المعالم الرئيسية لتطور الفلسفة الإنسانية - التى رأينا ضرورة التركيز عليها - لدى فلاسفة اليونان. وقد تمثل هذا التطور فى أربع محطات رئيسة يمثلها على التوالى: السوفسطائيون وحركة التنوير فى الفكر اليونانى؛ ثم سقراط والدعوة إلى معرفة النفس وإعمال العقل فى الأخلاق،

ثم أفلاطون والاتجاه نحو المثال فى معالجة مشكلات الإنسان وتفسير الطبيعة. ثم أرسطو والاتجاه نحو إقامة التوازن بين الواقع والمثال. أما فيما يخص العصر الثانى للفكر اليونانى؛ العصر الهلنستى فقد اكتفينا بعرض خصائصه دون الدخول فى تفاصيل الحديث عن المدارس الفلسفية نظراً لأننا نعتبر أن هذا العصر كما أشرنا فيما سبق عصر امتزج فيه الفكر اليونانى الأصل بفكر الشرق. ومن ثم يتوقف الإبداع اليونانى الأصل عند هؤلاء الفلاسفة وتلك المدارس الفلسفية التى ظهرت فيما بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد وان كانت أصالة الفلسفة اليونانية قد تبلورت أكثر فى القرنين الخامس والرابع فقط.

وبعد فإن هذا المدخل الذى بين يديك عزيزى القارئ إنما يدعوكم لقراءة جديدة للفلسفة اليونانية ولتطورها على ضوء بعض ما يعتقده مؤلفه من آراء حول هذه الفلسفة. فنحن نعتقد أن من الضرورى قراءة هذا الفكر بوضعه فى إطاره الحضارى الصحيح؛ فهو ليس فكراً مُعجزاً ولم تنشأ الفلسفة كما يقولون كمعجزة عند اليونان لا اصطلاحاً ولا مضموناً؛ فالمصطلح يشكك فيلسوف اليونان الكبير أفلاطون فى أن يكون

يونانياً حيث يقول في مطلع محاوره "أقراطيلوس" أن كلمة Sophia ليست من اصل يونانى (Cratylus, p. 412b) . وقد اثبتت بعض الأبحاث الحديثة أنها كلمة ذات اصل مصري قديم^(١). أما المضمون فتكشف أى قراءة متأنية للنتاج الفكرى لبلاد الشرق القديم المختلفة أن معظم القضايا التى طرحها فلاسفة اليونان إنما سبق إلى طرحها مفكرو الشرق. وإن كان لفلاسفة اليونان دائماً فضل الصياغة النظرية الأكثر دقة لهذه القضايا. ولهم أيضاً الفضل فى الكثير من الإضافات المهمة فى هذه القضايا؛ فقد تميز اليونان بأنهم أمة ركزت على الفلسفة وتفرغ الكثيرون من اليونان لها تفرغاً كاملاً مما نتج عنه بالضرورة ذلك الانتاج الفلسفى المثير الذى شكل فى اعتقادي أهم حلقة من حلقات تطور الفكر الفلسفى العالمى حتى الآن.

كما أننا نعتقد أن قراءة الفكر اليونانى مع التركيز على قضايا الإنسان كما طرحها فلاسفة اليونان الكبار هي القراءة

(١) انظر. مارتى برنال أئسا افريقية سوداء - الحدود الإفريقية والشرقية للإعريق، ترجمة

شوقي حلال في كتابه "الحصارة المصرية"، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٩٦م.
وانظر أيضاً كتاب برنال الصحم Black Athena الذى يقرر نقله إلى العربية الآد
مجموعة من المترجمين المصريين تحت إشراف المجلس الأعلى للثقافة

التي تكشف عن الإبداع الحقيقي لفلاسفة اليونان، وتكشف عن الملمح الاساسى لتطوره؛ فهي قراءة تستبعد مالم يعد ذو أهمية لنا اليوم من أبحاث لهم حول الطبيعة وغيرها، وتركز على ذلك التراث الأكثر خلودا وأهمية للفكر اليونانى، ذلك التراث الذي لا يزال إلى اليوم معلما وملهما لكل من قرأه.

وأتمنى أن يكون هذا المدخل الجديد لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان محفلاً للفائدة المرجوة منه. وأن يجد فيه القارئ المتخصص وغير المتخصص ما يطمح إليه من معرفة للمعالم الرئيسية للفلسفة اليونانية بأسلوب سهل بسيط.

والله المستعان على كل شيء. وهو من وراء القصد

د. مصطفى النشار

مدينة نصر في: ٨ ذو الحجة ١٤١٧هـ.

- الموافق ١٥/٤/١٩٩٧م.

الفصل الأول

**بدايات التفكير الفلسفي
في الحضارات الشرقية القديمة**

تمهيد

نشأة المعنى الاصطلاحي للفلسفة

يكاد يجمع المؤرخون للفلسفة على أنها قد نشأت في بلاد اليونان منذ القرن السادس قبل الميلاد. ويؤرخ لبدائيتها تحديداً بمفكر يوناني عاش على ساحل أيونيا في مدينة ملطيه يدعى طاليس الذي عاش تقريباً فيما بين عامي ٦٢٤ و ٥٤٦ ق . م .

وقد تبلور معنى الفكر التحليلي والحكمة عند اليونانيين حينما أطلق فيثاغورس الفيلسوف والرياضي الشهير على نفسه لقب محب الحكمة PHILO - SOPHIA ، فأصبحت الفلسفة (أى محبة الحكمة) هى اسم العلم الذي تداولته الألسن والأقلام منذ ذلك التاريخ للدلالة على ذلك النوع من التأمل والتفكير العقلى فيما يصادفه الإنسان من مشكلات نتيجة ما يطرحه من تساؤلات حول علاقته بالعالم الطبيعي الذي يعيش فيه، وحول علاقته بالآخرين من بنى جنسه، وحول تلك القوة الخفية الإلهية التى ربما أبدعت هذا العالم الطبيعي .. إلخ.

ويجدر الإشارة إلى أن لفظ "الفلسفة PHILO - SOPHIA" لم يكن في البداية دالاً على ما نعنيه بها اليوم ففط من تفكير مجرد وتحليل عقلى للمشكلات الإنسانية والميتافيزيقية (أي ما وراء الطبيعة)، وإنما كان يدل على أى نشاط عقلى يبذله الإنسان بهدف معرفة أي شيء عن نفسه أو عن ظواهر الطبيعة المختلفة.

ومن ثم كانت "الفلسفة" في البداية اسم علم يطلق على كل ابداعات الإنسان اليوناني في كل الميادين الفنية والأدبية والعلمية والدينية والفلسفية. فقد كان فيلسوفاً كل من يفكر ويتأمل ويبدع في شتى الميادين. وعلى ذلك اختلط عند اليونانيين الأوائل الفلسفة بالعلم بالدين، ولكن هذه الميادين بدأت تتمايز مع تطور البحث الفلسفى خاصة بعد ما ظهر أرسطو فيلسوف اليونان الكبير الذي كان له فضل وضع المعايير المنطقية للفصل بين ميادين العلوم المختلفة وعلى رأسها الفلسفة.

بدايات الفكر الفلسفي في الشرق القديم

لقد كانت نشأة الفلسفة بهذا المعنى السابق موضع تساؤل بين المؤرخين لها؛ فهل نشأت كمعجزة عند اليونان أم تأثر اليونانيون بما كان سائداً لدى الأمم الشرقية القديمة السابقة عليهم من أفكار فلسفية وعلمية؟؟.

إن المؤرخ الغربي يميل منذ أرسطو - الذي كان أول من أرخ للفلسفة - إلى التأكيد على أن الفلسفة اخترع يوناني بدأ بطاليس الملطي في أوائل القرن السادس قبل الميلاد.

وقد تابع معظم المؤرخين العرب المؤرخ الغربي في هذا الميل، فقرر معظمهم تقريباً بأن الفلسفة قد نشأت لدى اليونان في القرن السادس قبل الميلاد من خلال نقد اليونانيين الحر لتراثهم، وقد ساعدتهم في ذلك ما امتازوا به من خصائص فريده تميز بها الإنسان اليوناني دون سواه.

لكن هذا الميل نحو تأكيد المعجزة اليونانية في نشأة الفلسفة أخذ يتضاءل منذ بدأت تظهر المكتشفات الحديثة لآثار وكتابات الحضارات الشرقية القديمة حيث بدا للمؤرخ المنصف "أن الفلسفة اليونانية إنما نشأت من تماس اليونان بالشرق"؛ فقد

نشأت الفلسفة اليونانية في المستعمرات التي أقامها اليونان في أيونيا الواقعة على حدود آسيا الصغرى حيث وجد اليونانيون أنفسهم في تماس مع الشعوب الشرقية، وقد انطلق الفكر اليوناني - كما يؤكد شارل فرنر - عند الملطيين طاليس وانكسيمندر وانكسيمانس، وعند هيراقليطس الذي أنجبته أفسوس، ومن ساموس التي أنجبت فيثاغورس، ومن كولوفون التي أنجبت اكسينوفان، نتيجة لتأثر كل هؤلاء بتراث الشرقيين القدامى.

وعلى أى حال، فليس هناك حضارياً ما يمكن تسميته بالمعجزة بعد معجزة الحضارة المصرية القديمة، فهي الوحيدة من بين حضارات العالم الجديرة بأن تلقب كما يقول ويلسون في كتابه "الحضارة المصرية" - بالحضارة المعجزة. وسبب الإعجاز هنا واضح في نظر المؤرخين؛ فهي الحضارة الوحيدة التي أنشأت نفسها بنفسها في شتى الجوانب على غير مثال سابق، وقد كانت الفلسفة - فيما يقول توملين في كتابه "فلسفة الشرق" من بين تلك المكتشفات كما يؤكد تاريخ علم المصريات الحديث EGYPTOLOGY حيث يرى العلماء أن مصر كانت مهد التأمل الفلسفي كما نعرفه اليوم.

ومن هنا وجب قبل أن نسهب في الحديث عن الفلسفة اليونانية أن نتحدث عن بعض لمحات من فلسفات الشرق القديم باعتبارها تمثل بحق بدايات التفكير الفلسفي الإنساني.

أولاً : الفكر المصري القديم

أصبح كثيرون من مؤرخي الفلسفة يؤمنون بأن جذورها قد نبتت في مصر القديمة، وحينما اتصل بها اليونانيون نمت هذه الجذور وترعرعت على أيديهم. وهاهو هنري توماس يعبر عن ذلك بجلاء حينما يقول في كتابه "أعلام الفلاسفة - كيف نفهمهم": "أنه على أرض مصر عاش الحكماء الأوائل العظام في التاريخ ويمكن أن نعتبر هذا القطر معلم الإنسانية الأول، فقد نزع إلى مصر الكثير من فلاسفة العالم القديم حتى أن أفلاطون - أعظم فلاسفة اليونان - اعترف بفضل المصريين القدماء عليه كرواده وأساتذته في كل ما هو سام من عمل أو فكر.

ولذا يمكن ارجاع كل التفكير الحديث إلى حكمة المصريين وذلك عن طريق أفلاطون والفلاسفة اليونانيين الآخرين؛ فقد أخذ اليونانيون فلسفتهم عن الشرق، والغربيون المحدثون بدورهم أخذوا فلسفتهم عن اليونان، وهكذا فقد اسباب

تيار الحكمة عبر الأجيال من غير توقف مبتدئاً بالحضارة المصرية. وأن عرضاً مقتبضاً للفكر المصري المبكر يوضح لنا أن ما أورتنا إياه أفلاطون وأرسطو موجود في فلسفة بتاح حتب، وما تركه لنا شوبنهاور وتولستوى من تراث ممثلاً في حكمة أبوور كما نجد وحى سبينوزا وكانط في رؤى اخناتون".

وإذا كان ذلك كذلك، فما هي أهم الأفكار الفلسفية التي طرحها المصريون القدماء، ومن هم هؤلاء الأعلام الذين أشار إليهم هنري توماس، وما هي أهم افكارهم التي تناقلها مفكرو اليونان وعبروا عنها في كتاباتهم الفلسفية؟!

إن أهم الأفكار الفلسفية التي نجدها في الحضارة المصرية القديمة هي فكرة الخلود. إن الإنسان المصري القديم شغل كثيراً بظاهرة الموت؟ فبعد أن سيطر على مقدرات الطبيعة وسخرها لخدمته وجد أن كل ما حوله يموت، وأراد أن يفلسف هذه الظاهرة فكان أن آمن أن الموت يعقبه البعث، وأن للإنسان حياة أخرى بعد هذه الحياة التي يعيشها على هذا الأرض، ومن هنا كان إيمانه أيضاً بفكرة الثواب والعقاب في هذه الحياة الأخرى، إذ أن حياة الإنسان الأخلاقية في الدنيا لا بد أن تستند على

الاعتقاد بالثواب والعقاب الأخرى، ففاعل الخير سيثاب على فعله، بينما يلقي الأثم جزاء أفعاله الشريرة. إن الاعتقاد فى هذه الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب كان هودافع الإنسان المصرى إلى الإلتزام الخلقى باستمرار.

وقد كان يصاحب ذلك الاعتقاد السابق اعتقاداً آخر لدى المصريين القدامى هو أن النفس شىء مختلف عن الجسد، فقد اعتقدوا بأن الموت يعنى انفصال النفس (الكا) عن الجسم (البا) ومن ثم فإن موت الجسم لا يعنى موت النفس، فهي باقية حية، وهي تبحث عن هذا الجسد بعد الموت وحينما تعثر عليه تكون حياة الإنسان الأخرى. ومن هنا كانت محاولاتهم العلمية للإبقاء على الجسد، فاخترعوا فن التحنيط الذي يبقى على الجسد بحالته الطبيعية، ومن هنا أيضاً كانت عبقريتهم المعمارية الهندسية فى بناء الأهرامات، تلك الأبنية الضخمة التى صممت بمعايير علمية غاية فى الدقة وذلك لتحافظ على جسد الملك (أى الفرعون الإله).

وقد ارتبطت بهذه الأفكار الميتافيزيقية التى أسهمت فى تطور العلم عند المصريين القدماء، فلسفة أخلاقية عمادها

ضرورة أن يتصرف الإنسان وفقاً للعدالة والنظام (ماعت - Maat)؛ فلا يظلم نفسه ولا يظلم غيره، ولا يرتكب إثماً، لأن التبرؤ من الآثام والشروع هو أساس الخلود والنجاة من عقاب الآلهة في الحياة الأخرى. ولا شك أن إيمان المصري القديم بالآلوهية كان ضرورياً في تأكيد هذا الارتباط بين الفعل الأخلاقي الحميد والمصير الحسن الذي سيلقاه في حياته الأخرى.

وقد تجسدت هذه الأفكار لدى بعض المفكرين الذين توالى اكتشافات كتاباتهم لدى علماء الآثار والتاريخ منذ فك رموز الكتابة الهيروغليفية. وكان من أوائل هؤلاء المفكرين بتاح حتب الذي عاش في حوالي (٢٧٠٠) ق. م أي قبل ظهور الفكر الغربي عند اليونان بحوالي ستة وعشرين قرناً كاملة.

وقد إكتشفت لهذا المفكر المصري القديم ثلاثة وأربعين لوحة ترجمت وأطلق عليها بعض المؤرخين "مخطوط الحكمة". وفي هذا الكتاب ينصح بتاح حتب ابنه، وقد دارت معظم هذه النصائح حول تعليم ابنه الأخلاق الحميدة والحياة الصالحة ورسم فيها صورة للإبن الحكيم الذي ينبغي أن يعيش حياة

أخلاقية أساسها "ضبط النفس"، وهى نفس الفضيلة التى ستصبح أحد أحجار الزوايا في الفكر الأخلاقي اليوناني وخاصة عند المفكرين الكبار سقراط وأفلاطون وأرسطو. وقد ربط بتاح في هذا الكتاب بين التمتع بالأخلاق الحميدة وبين الارتقاء في المناصب السياسية، فاعتبر أن السياسي الناجح هو الذي يمكنه ضبط النفس أمام الحاكم الإله وأمام الناس وهو الذي يجيد الإستماع إلى الآخرين، ويستقبل صاحب الشكوى من الناس ببشاشة حتى ينتهى من شكواه، وهو الذي يجيد فن الحديث والمجادلة بشرط أن يجيد الإستماع قبل إجادة الكلام.

ويكفي أن نضرب مثلاً آخر لهؤلاء المفكرين المصريين القدامى وهو اخناتون، الذي عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ذلك الملك الفيلسوف الذي كان اسمه "امنحتب الرابع" فغيره إلى اخناتون "أى المكرس لله" ليبدأ ثورة دينية أخلاقية إجتماعية لم يعرف لها التاريخ القديم مثيلاً.

لقد رأى اخناتون الحق في أن يصور إلهاً واحداً أعظم تطل سماؤه حانية من فوق جسم الأرض، إنه الإله الحى مبدع الحياة خالق كل شيء. مسير الأشياء حسب مشيئته، رابط جميع الأقطار والأمم برباط محبته.

وبالطبع فإن هذا الاعتقاد بواحدية الإله وبصورته
المجردة التي لم يقلل منها رمزه له بقرص الشمس - إذ أن هذا
مجرد رمز لا يشير إلى أى معنى من معانى التجسيد المادي
للإله - لم يأت مصادفة بل بعد تفكير وتأمل طويلين سما فيهما
عقل إخناتون إلى ماوراء الإدراك المادي - وقد فاق هذا
التصوير للألوهية بصورة مذهشة تصورات الكثير من مفكرى
اليونان، إذ لم تكن فكرة الألوهية - على هذا النحو التصوري
الساعي نحو التجريد والماوراء - موضوعاً لتفلسف هؤلاء إلا
في عصر متأخر نسبياً على يد أفلاطون وأرسطو.

ولم يقتصر فكر إخناتون الفلسفى على هذه الآراء الراقية
الرائدة حول واحدية الإله، بل كان له فكره الأخلاقي
والاجتماعي والسياسي السامى؛ فقد بنى مدينة جديدة في تل
العمارنة ليعبد فيها هذا الإله الواحد، ولتكون العلاقات
الاجتماعية الجيدة - التى دعا إليها إخناتون حينما ظهر
لمواطنيه وعاش بينهم بصحبة زوجته نفرتيتي - هي أساس هذه
المدينة التى كانت أشبه ما تكون بمدينة مثالية حطم فيها إخناتون
كل تقاليد حكام مصر السابقين، ودعى لثورة فنية حينما أمر

النحاتين والرسامين بأن يصوره بحالته الجسمية الطبيعية على عكس ما كان سائداً من قبل حيث كان يصور الفرعون في صورة مثالية بموذجية تعبر عن ألوهية الحاكم.

لقد كان فكر اخناتون يمثل ثورة شاملة في كافة الميادين فقد كان يدعو إلى تحقيق أسمى ما يمكن أن يتصوره بشر: عبادة إله واحد، دولة عالمية واحدة، قانون عالمي واحد يخضع له كل البشر.

ولما كان بعض المؤرخين يرجح أنه كانت هناك جالبة مسينية (وهم من سيعرفون فيما بعد باليونانيين) حاضرة في العمارنة التي استقر فيها اخناتون، فمن المرجح أن أفكاره قد إنتقلت عبرهم إلى بلاد اليونان في آسيا الصغرى مباشرة أو عبر كريت التي كانت تلعب في ذلك الوقت دور الوسيط بين مصر و اليونان.

وعلى كل حال، فقد أصبح من الثابت تاريخياً وأثرياً أن فلاسفة اليونان منذ طاليس قد زاروا مصر وأخذوا عن مفكرها وعلمائها؛ فقد أثبتت النقوش المكتشفة حديثاً أن كلا من طاليس ودبمقريطس وفبتاغورس وأفلاطون قد زاروا مدينة أون - التي

كانت تمثل مقراً لجامعة أو معهد علمي ضخم - وأنهم قد تلقوا على يد الكهنة (الذين كانوا هم طبقة المفكرين والعلماء في نفس الوقت) العلوم المصرية المختلفة وعلى رأسها الرياضيات والفكر الديني والفلسفي.

ثانياً: الفكر الصيني القديم

لقد تزامنت الحضارة الصينية القديمة مع العهود المتأخرة للحضارة المصرية القديمة. وقد كان كتاب التغيرات Yking هو أهم ما قدمه التراث الصيني السابق على كونفوشيوس المفكر الصيني العظيم الذي إستلهم هذا الكتاب في القرن السادس قبل الميلاد بعد ما قال عنه "إعطنى سنين قليلة لأدرس هذا الكتاب وأنا أستطيع أن أكون عالماً فيلسوفاً خبيراً بحوادث التغيرات في الطبائع الإنسانية".

ولقد أصبح كونفوشيوس ومعاصرة لاؤتسي Laotse أشهر مفكرى الصين القديمة. وسنقتصر هنا على عرض بعض آراء كونفوشيوس التى سنجدها ماثلة بوضوح فى التراث الأخلاقي لفلاسفة اليونان الكبار (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، والجدير بالذكر أنه قد عاش قبل هؤلاء بحوالي قرنين من الزمان. فقد عاش بين عامي (٥٥١ - ٤٧٩ ق . م).

إن جوهر فكر كونفشيوس الأخلاقي هو الدعوة إلى أخلاق الوسط التي سيدعو إليها أرسطو بعد ذلك بقرنين في كتابة "الأخلاق إلى نيقوماخوس". وقد استندت هذه الدعوة عند مفكر الصين على تحليله للطبيعة البشرية ودعوته إلى "أن الناس سواسية خيرين بطبيعتهم ولكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجياً وفق ما يكتسبون من عادات "وإلى" أن الطبيعة البشرية مستقيمة فإذا اختلف الإنسان هذه الإستقامة فقد اختلف معها السعادة".

ويبدو من ذلك أن كونفشيوس يعتقد بناءً على خيرية الطبيعة البشرية أن استقامة الخلق إنما يعنى في ذات الوقت تحقيق السعادة للإنسان.

إن الرجل الفاضل عند كونفشيوس هو من يدرك القانون الأخلاقي الذي يكمن في إدراك الوسط بين الإفراط والتفريط، ويلتزم في سلوكه بهذا الوسط ولا يعلو عليه فيخرج عن دائرة البشر، كما لا ينبغي أن يتصرف تصرفات بهيمية فيصبح لا أخلاقياً.

أما الفضائل التي على الإنسان الحكيم أن يتحلى بها ويعيش وفقاً لها فهي "أن يجمل نفسه بالعلم ليلاً ونهاراً، ويقدر الأمانة ويفضل الموت على الذلة والمسكنة، وأن يعيش حياة بسيطة يمقت فيها الجشع والترف وأن يعيش مع المحدثين وفي نفس الوقت يدرس التراث القديم، وإن عاش في خطر واضطراب فإن روحه تظل في أمن واطمئنان ولا ينسى أخوته في الإنسانية الذين يقاسون الالام، وفي ذلك يكون شعوره بالمسؤولية الاجتماعية".

والمناهل في هذه الصفات التي يصف بها كونفشيوس الحكيم بدرك الشبه القوي بينها وبين شخصية الحكيم التي رسمها سقراط بحياته وسلوكه وصورها الرواقيون في فلسفتهم الأخلاقية.

ولم يقتصر فكر كونفشيوس على الأخلاق فحسب، بل قدم فكراً سياسياً مبنياً على هذه المبادئ الأخلاقية لأنه كان يؤمن بأن الأخلاق هي المبدأ الأساسي لأي نظام اجتماعي وسياسي مستقر إذ لا يستطيع أي حاكم أن يقيم نظاماً اجتماعياً كاملاً إلا إذا عمل أولاً على الإرتقاء بأخلاق الأفراد. فإذا استطاع كل فرد

أن يسيطر على حياته النسبة وأن يحقق التوازن والانسجام الداخلي أدى ذلك بالضرورة إلى انسجام المجتمع ككل واطمئنانه، ومن ثم أمكن أن يعيش أهله حياة اجتماعية وسياسية مستقرة.

وعلى أساس هذا الاعتقاد أقام كونفشيوس تصوره للدولة المثالية على أرض الواقع حينما تولى منصب كبير الوزراء فى ولاية Lu الصينية، وبفعل المبادئ السياسية - الأخلاقية المبنية على الانضباط والحزم ومراعاة الحقوق، تطورت الولاية تطوراً هائلاً مما جعلها قبلة يتجه إليها كل الصينيين من جميع المدن الخرى، وقد دفع هذا خصوم كونفشيوس ومن أضرخوا من سمعة هذه المدينة من حكام المدن الأخرى أن يدبروا المؤامرات ضد حاكم ولاية Lu ليسغلوه عن مهام الحكم وليفسدوا المدينة، وقد حاول كونفشيوس تحذير الحاكم من هذه المؤامرات، ولما لم يستمع إليه اضطر لمغادرة مدينته المثالية ليحقق هدفاً أكبر حلم به لكل الصينيين وهو الدعوة إلى وحدة الصين، وقد أمضى بقية عمره يتجول بين ولايات ومدن الصين ليحقق هذا الهدف الذي لم يتحقق إلا بعد وفاته.

ثالثاً: الفكر الفارسي القديم

لقد عرف عن الحضارة الفارسية القديمة إيمان أهلها بالثنائية، ثنائية الخير والشر، ومن ثم كان اعتقادهم بوجود أصليين قديمين مدبرين للعالم هما: أهورا مزدا Ahura Mazda إله الخير وسبب النظام في هذا العالم والمسئول عن إقرار العدالة ومحاسبة النفوس بعد الموت عما اقترفت من السيئات في هذه الحياة، وأهريمان Ahriman إله الشر والمرض والموت وملك الشياطين.

إن هذا الصراع بين إله الخير وإله الشر، بين الجنة والنار، بين الألوهية والإنسان كان لب المذهب الديني والعقائدي الذي يقدمه الكتاب المقدس لدى الإيرانيين القدماء وكان يسمى بالزند افستا Zandavesta.

وهذا الاعتقاد في الثنائية سنجده ماثلاً في الفلسفة اليونانية خاصة عند الفيتاغوريين.

وعلى أى حال، فقد استنكر زرادشت - المفكر الفارسي القديم الذي عاش في حوالي القرن السادس قبل الميلاد - هذه

الثنائية لدى قومه وقدم صياغة أكثر تطوراً في هذا الصدد، حيث نعى عليهم وتبتيهم ونصب من نفسه مرشداً يهديهم إلى طريق الحكمة والصواب فانتقد ما انطوت عليه حياتهم من فساد خلقى، ودعاهم إلى أن يعبدوا إلهاً واحداً هو أهورا مزدا (إله الخير) الذي هو الإله الأعظم عند زراشت؛ فقد وصفه بأنه القديم الأزلى، الذي لم يلد ولن يموت، وهو علة العلل وليس له علة، وهو المصدر الأول لجميع الموجودات، وهو روح الأرواح، لا يرى ولا يُنظر، وهو خالق الخلق كله والملائكة الأبرار، وهو أب الإنسان خلقه وشرفه على كافة المخلوقات بالعقل والبصيرة، وهو منبع الخير كما أنه مصدر كل مجد ونور وسعادة.

ورغم هذه الصفات السامية التي وصف بها زرادشت الإله الواحد، إلا أنه ظل محتفظاً بنوع من الثنائية لما كان لأهريمان من دور واضح في عقيدته الدينية.

على أى حال، فلا شك أن هذا الاعتقاد لزراشت حول "إله الخير" قد أثر في أفلاطون خاصة في تصوره لمثال الخير

الذي هو صورة من صور الألوهية عنده. وقد ورد ذكر زرادشت في محاوره "القيبادس" الأفلاطونية، وقد وصفه بأنه كان بعيد النظر عميق الفكر.

ويدل ذكر أفلاطون لزرادشت وتبجيله على هذا النحو على صحة ما ذهب إليه هنري كوربان من أن زرادشت كان هو القائم على هذا التداخل الفكري المميز للعهد المتأخر من العصور القديمة حيث كانت هناك صلات حضارية مستمرة بين أثينا والأوساط الفارسية مما يؤيد النظرة القائلة بأن اللاهوت البصري الأفلاطوني يعد امتداداً لمذهب زرادشت.

رابعاً: الفكر الهندي القديم

من المعروف لدى علماء الحضارات الشرقية القديمة أن الهند هي أغزرها إبداعاً من الناحية الفلسفية؛ فقد تعددت فيها المذاهب الفكرية تعدداً يفوق الحصر.

وعلى الرغم من ذلك فإنه يمكن حصر خصائص الفكر الهندي من وجهة نظر راداكشنان أهم من أرخ له فيما يلي: أنه فكر روحي في جوهره وهو ثمرة الحياة الروحية للهنود

أنفسهم، وأنه فكر يعنى بالإنسان وبالحياء وليس بمعرفة العالم الخارجى بالدرجة الأولى. وأن المفكر الهندي هو بالفعل دائماً الرئيس والمدير فى الهند، وفي هذا نجد تطبيقاً عملياً لفكرة أفلاطون وسواه عن حكم الفلاسفة. كما أن الدين فى الفكر الهندي ليس دوجماتيقاً بل هو عقلانى يجدد نفسه دائماً، أنه تجريبى وبرهانى فى طبيعته ويحاول أن يبقى متوافقاً مع تقدم الفكر.

أما موضوعات الفكر الهندي الرئيسية فهى؛ طبيعة الإله، الحياة الأخرى وصلة النفس الفردية بالروح الكلية. ومع أن حياة الإنسان الهندي كحياة الإنسان الشرقى عموماً موجهة بالدين، إلا أن له حربته الخاصة المستقلة فى المسائل الفكرية، ولذلك وجدت فى الفكر الهندي مدارس الشكاك والهرطقة والملحدين والعقليين والماديين والذبيين، وهذا كله يدل على عقلانية هذا الفكر وتنوع تباراته التى استهدفت جميعاً معرفة الحقيقة. ولم يقتصر الفكر الهندي على البحث فى اللاهوت أو الميتافيزيقا، بل نجد فيه المنطق والنحو والبلاغة والطب والفلك وكل فروع العلم الأخرى من الحساب إلى الحيوان.

إن من أبرز الأفكار في الفلسفة الهندية فكرة التمييز بين العالم الظاهر المتغير الثابت الذي لا يتغير، وأن معرفة الإنسان تتصل بما هو نسبي متغير وليس بما هو ثابت مطلق. أما إذا أراد الإنسان الوصول إلى المعرفة بالمطلق فإن عليه أن يسلك طريقاً ذاتياً داخلياً يعتمد على التأمل الباطني عن طريق تلك القوة المفارقة للعقل وهي الحدس أو التأمل الداخلي.

ولا شك أننا نجد صدى هذه الأفكار يتردد عند مفكرى اليونان خاصة عند بارمنيدس وأفلاطون. كما أن فكرة المذهب الهندي البراهماني عن النفس قد ترددت أيضاً عند أفلاطون؛ فالنفس - في نظر البراهمايين - جوهر خالد صافي - عالم مدرك تمام العلم والإدراك، مادام منفصلاً عن الجسد، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفائه ونقص علمه. وبالطبع فإن هذه النظرية التي تقرر أن النفس عالمة قبل اتصالها بالجسم تقارب نظرية أفلاطون في النفس وربما كانت أصلاً لها.

وعلى أى حال فإن أكثر المؤرخين الغربيين تعصباً لا يستطيع أن ينكر ما للتراث الهندي من باع طويل في عالم الفكر الفلسفي والعلمي، لكن هؤلاء - وخاصة بيرنت - يقولون أن

ظهور الفكر بمعناه الفلسفي لدى الهنود كان بعد اتصالهم باليونان، ومن ثم فإن الفكر الهندي هو الذي تأثر باليونان وليس العكس.

لكن بيرنت نفسه يعود فيعترف أن تصوف البوذية والأوبانيشاد قد أثر في المذاهب الفلسفية اليونانية، لكنه يرى أن هذا التأثير كان ثانوياً ولا يصل إلى حد إعتباره مصدراً للفلسفة اليونانية.

وعلى ذلك فإن الصلة بين الفلسفات الهندية والفلسفة اليونانية قائمة، وأن التأثير المتبادل كان موجوداً وبما أن الفكر الهندي أقدم في ظهوره وتطوره كثيراً من الفلسفة اليونانية فإن من المنطقي الإقرار بتأثير الأقدم على الأحدث وليس العكس.

خامساً: الفكر البابلي القديم

كشفت البحوث الحديثة للمؤرخين وعلماء الآثار والحضارات عن وجود حضارة شرقية بابلية ازدهرت في بلاد ما بين النهرين ترجع في تاريخها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.

وكان أبرز ما تميزت به هذه الحضارة هو اتجاه أبنائها نحو العلوم وخاصة علوم الحساب والفلك، وقد برعوا في الفلك خاصة.

وقد إعترف اليونانيون بتأثرهم بعلم الفلك البابلي، وهامو أرسطو أعظم علماء اليونان يعترف بهذا التأثير فى كتابه "السماء والعالم".

ولم يتوقف إبداع البابليين عند العلوم فقط، بل كان لهم تصورهم المميز لأصل العالم حيث كانوا يرددون قولهم الماتور "في البدء وقبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط مكان البحر، وهو نفس ما كان يتردد في الأسطورة المصرية القديمة القائلة "في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان أتوم وحده الإله الأول صانع الالهة والبشر والأشياء، لقد كانت فكرة أن الماء أصل العالم فكرة شائعة في جميع الأساطير الشرقية القديمة. ويبدو أن اليونانيين قد نقلوها عنهم، إذ نجدها عند هو ميروس وهزيود والأورفيين فيما قبل طاليس، وقد جاء طاليس ليؤكد تلك الفكرة بالأدلة الحسية والعقلية من خلال تأمله للعالم الطبيعي من حوله.

أهم المصادر والمراجع للفصل الأول

يمكن للفارئ أن يمنع ببيع هذه المراجع للاستفادة
في موضوعات هذا الفصل.

١- أ.و.ف. توملين: فلاسفة الشرق ترجمة عبد الحميد سليم، دار المعارف
بالقاهرة، بدون تاريخ.

٢- د. مصطفى النشار: فلاسفة أممنا العالم، وكالة زووم برس للإعلام،
القاهرة، الطبعة الثالثة / ١٩٩٧م.

٣- د. مصطفى النشار: نحو تاريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات في
الفلسفة المصرية واليونانية، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٩٧م.

٤- د. مصطفى النشار: المصادر الشرفية للفلسفة اليونانية، دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٧م.

٥- هنري توماس: أعلام الفلاسفة - كيف نفهمهم، ترجمة مري أمس،
دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٤م.

٦- جيمس هنري برسيب: فجر الضمير، ترجمة د. سليم حسن، مكتبة
مصر بالقاهرة، بدون تاريخ.

- ٧- كريل و.ح، الفكر الصينى من كونفستوس إلى ماونسى نونج، ترجمة
عد الحمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧١.
- ٨- فؤاد محمد نسل: حكمه الصبن، جزاءن، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.
- ٩- حامد عبد القادر: زرادشت الحكيم، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة
١٩٥٦م.
- ١٠- حسن نحانة سعفان: كوفشيووس، مكتبة نهضة مصر، القاهرة
بدون تاريخ.
- ١١- جون وبلسون: الحضارة المصرية، ترجمة د. أحمد فخرى، مكتبة
النهضة المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.
- ١٢- رادا كرشناود. شارلز مور: الفكر الفلسفى الهندى، ترجمة بدره
البازحى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت
١٩٦٧م.
- ١٣- أحمد السننناوى: الحكماء الثلاثة، دار المعارف،
القاهرة ط. ٢ ١٩٦٧م.

١٤- يان أسمان: ماعت مصر الفرعوبه وفكرة العدالة الإجتماعية، ترجمه د. زكية طبوراده ود. عليه شريف، دار الفكر للدراسات والنشر والنوابع، القاهرة ١٩٩٦م.

١٥ - نصوص مقدسة ونصوص دنوبية من مصر القديمة، مجلدان، ترجمه ماهر جوحاني بفلأ الترجمة الفرنسية لكلير لالويت مراجعة د. طاهر عبد الحكيم، دار الفكر للدراسات والنشر والنوابع، القاهرة ١٩٩٦م.

١٦- د. عبد الباسط سيدا: من الوعى الأسطورى إلى بدايه التفكير الفلسفى النظري (في بلاد الرافدين)، دار الحصاد للنشر والنوابع، دمشق ١٩٩٥م.

١٧- جون كولز: الفكر الشرفي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة (١٩٩)، الكويت ١٩٩٥م.

١٨- د. على زعبور: الفلسفات الهندسة، دار الأندلس للطباعة والنشر والنوابع، بربوب، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

١٩- نرانيم زرادشت: ترجمة وتقديم د.فليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.

- 20- Hughes (E.R): Chinese Philosophy in Clasical Times,
London & New York, 1942.
- 21- Surendranath Delsgupta: A History of Indian
Philosophy, Cambridge University Press, 1957.
- 22- Zimmer (H.): Philosophies of India, London 1951.
- 23-Schweitzer (A.): Indian Thought and it's development,
London, 1936.

الفصل الثاني

خصائص الفكر اليوناني في عصره الأول

تمهيد

لقد اتضح فيما سبق أنه لا يوجد ما يسمى "معجزة يونانية" في نشأة الفكر الفلسفي. فقد عرفنا المصادر الخارجية التي استمد منها اليونانيون معظم أفكارهم. وهذا لا يعنى أنه لم يكن للفكر اليوناني ابداعاته المستقلة؛ فلا شك أن الفكر اليوناني يمثل نقلة نوعية في تاريخ الفكر الإنسانى.

لقد وفر جو الحرية الذي عاشه الفرد اليوناني منذ ظهوره على ساحل أيونيا فى أسيا الصغرى المناخ المناسب للتفرغ للفكر، كما وفر له القدر الأكبر من الحرية فى تناول تراثه الأسطورى والدينى بالنقد والتحليل دون خوف من أى سلطة.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن البيئة الجغرافية التي عاشوا فيها قد حفزتهم إلى الإبحار الدائم والتجارة التي جلبت لهم الثروة والإزدهار. وقد أدى ذلك إلى قيام دويلات مستقلة، حيث شكلت كل مدينة دولة مستقلة وحرصت كل دولة مدينة منها على استقلالها عن الأخريات، وفى ظل هذا النظام - نظام دولة المدينة الواحدة - تتفوق الكلمة على جميع الأدوات الأخرى للسلطة. وهذا ما كان فعلاً فقد أصبحت الخطابة هي وسيلة القيادة والسيطرة على الآخرين.

فى مثل هذه البيئة التى شكلت إنساناً مغامراً محباً للاستطلاع يتفنن الخطابة والجدل كان من الطبيعى أن يزدهر الفكر النظري وأن يسعى الجميع إلى تقديم خبراتهم الحياتية وتأملاتهم الداتية فى الطبيعة والإنسان فى كتابات فردية تتشر على الجميع خاصة بعد أن نقل اليونانيون اختراع الكتابة عبر الفينيقيين من مصر القديمة قبل ذلك بمئات السنين فكان بإمكانهم تطويرها واستخدامها على نطاق واسع فى تسجيل مبتكراتهم العلمية وأفكارهم الفلسفية. وقد تميز الفكر اليونانى بخصائص عديدة منها:

أولاً : إثارة معظم المشكلات الكبرى فى الفلسفة: مثل:

(أ) مشكلة تفسير العالم الطبيعى:-

لقد بدأ الفكر اليونانى مهتماً بالبحث فى الطبيعة، وقد نقل المفكرون اليونان هذا الإهتمام بالتأمل فى الطبيعة عن الحضارات الشرقية القديمة لكنهم تميزوا عن الشرقيين بطريقة طرحهم للتساؤل عن أصل هذا العالم الطبيعى وخاصة منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد؛ فقد كان كل التراث السابق على هذا القرن يؤمن بتفسيرات غامضة وأسطورية حول أصل هذا العالم

الطبيعي، وجاء المفكرون الطبيعيون الأوائل في اليونان (طاليس وانكسيمندر وانكسيمانس) ليطرحوا هذا التفسيرات الغامضة جانباً ويحاولون البحث في أصل هذا العالم بالنظر في الطبيعة نفسها. وبما أن كل شيء في العالم الطبيعي مكون من العناصر الطبيعية المادية الأربعة التي هي النار والهواء والماء والتراب، فقد دار بحث هؤلاء حول: أي هذه العناصر أهم ومن ثم يكون هو الأصل للعناصر الأخرى وفي العالم الطبيعي ككل؟!

لقد إختار كل واحد منهم - من خلال ملاحظاته للطبيعة - العنصر الذي تصور أنه الأهم حيث إختار طاليس الماء ليكون هو أصل العالم الطبيعي وقدم الدليل الحسى - العقلى على إختياره حيث وجد من ملاحظاته أن مساحات الأرض في دلتا أنهار أيونيه ونهر النيل تتسع شيئاً فشيئاً على حساب الماء، فقد خرجت الأرض إذن من الماء بتراكم الطمى عاماً بعد عام وصارت قرصاً طافياً على وجهه كجزيرة كبيرة في بحر عظيم. كما لاحظ أن النبات والحيوان يتغذيان على الماء وما منه يتغذى الشيء يتكون منه بالضرورة، كما وجد أن النباتات والحيوانات تولد في البيئة الرطبة. فالماء إذن هو سر حياة الكائنات الحبة ومكونها.

وقد رفض انكسيمانس ثالث هؤلاء الطبيعيين الأوائل ذلك، وقال بالهواء كأصل للعالم الطبيعي بحجة أن الهواء هو العنصر الأكثر انتشاراً ونفاذاً في الأشياء وهو موجود في كل طبقات الجو العليا والسفلى، كما أنه أكثر لزوماً لحياة الكائنات من الماء وهو لا يحتاج لحامل يحمله كالماء. كما أنه استطاع أن يفسر نشأة العناصر المادية الأخرى عن الهواء عن طريق ظاهرة التخلخل والتكاثف التي تحدث للهواء.

أما انكسيمندر الذي توسطهما فقد قال بالعناصر الأربعة مجتمعة كأصل للعالم الطبيعي لكنه عبر عن ذلك بمصطلح جديد هو "الأبيرون" apeiron أى اللامحدود أو اللانهائى وهو بهذا حاول أن يخطو خطوة إلى الأمام حينما عبر عن هذا الخليط المادي من العناصر بهذا المفهوم المجرد مفهوم "الأبيرون".

وقد جاء هيراقليطس بعد ذلك ليؤكد أن النار هي الأصل وأن كان قد ميز بين مستويين لهذه النار، فلم تكن النار لديه هي فقط النار المادية بل تحدث عن ما أسماه بالنار الحية العاقلة التي اعتبرها هي لوجوس Logos هذا العالم أى القانون الخفي الذي يمثل جوهر هذا العالم في تكوينه وفنائه. وقد انتشرت بعد ذلك

للتلك التفسيرات الطبيعية الأولى وتأثر بها آخرون في القرن الخامس قبل الميلاد مثل انكساجوراس الذي قال بالعناصر الأربعة في تفسير أصل العالم وإن كان قد أضاف إليه ما أسماه الـ nous أى العقل الذي اعتبره هو منظم الأشياء جميعاً ومثل انبادوقليس الذي قال بالعناصر الأربعة أيضاً لكنه أضاف إليها عنصرين معنويين هما المحبة والكراهية، وقال أنه إذا ماسادت المحبة والألفة بين العناصر تجمعت وتكون العالم والأشياء وإن سادت الكراهية والبغضاء تفرقت العناصر وفنى العالم والأشياء.

كما ظهرت في ذلك القرن المدرسة الذرية التى تزعمها ديمقريطس وقد فسرت العالم الطبيعي تفسيراً مادياً جديداً يقوم على أساس أن الذرة وليست العناصر هى أساس العالم فردت العناصر والأشياء إلى الذرات الصغيرة التى لا تنقسم ولا تقبل التجزئة. وتلك الذرات التى تتحرك حركات ذاتية فسروا على أساسها ما يسمى "بالنفس" فقالوا بأن النفس ما هى إلا ذرات لطيفة هي مزيج من النار والهواء يستنشقه الجسم فيظل حياً وحينما يتوقف عن ذلك يموت.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الإتجاه الطبيعي المادي لم يكن هو السائد وحده طوال هذين القرنين بل ظهرت مدارس فكرية تعارضه مثل المدرسة الفيثاغورية التي قالت بالعدد الرياضي كأصل لهذا العالم الطبيعي وجوهر له. والمدرسة الإيلية التي رفضت كل هذه التفسيرات المادية والمثالية التي قامت بها المدارس السابقة واعتقد زعيمها بارميندس بأنه ينبغي البحث عن أصل الوجود فحول بذلك البحث الفلسفي اليوناني من البحث عن تفسير لهذا العالم الطبيعي المادي إلى مشكلة أخرى سابقة على هذا البحث هي مشكلة أصل الوجود ككل وقال في ذلك أن الوجود الحقيقي واحد لا ينقسم ولا يتعدد وهذا هو المعنى الذي سيدور حوله البحث لدى الفلاسفة اليونان الكبار أمثال أفلاطون وأرسطو.

(ب) مشكلات وقضايا الإنسان:

لقد تطور الفكر اليوناني بعد ذلك وتحول البحث فيه من مشكلة أصل العالم الطبيعي وأصل الوجود ومعناه إلى البحث في ماهية الإنسان وقضاياها الاجتماعية والسياسية وجاء ذلك التحول على يد السوفسطائيين وسقراط كما سنوضح تفصيلا فيما بعد.

وقد اسنمر هذا الإهتمام بقضايا ومشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية لدى أفلاطون وتلميذه أرسطو كما أصبح سمة من سمات التفكير الفلسفي فيما بعد أرسطو لدى المدارس الفلسفية الكبرى في العصر التالي كالأبيقورية والرواقية.

ثانياً: التحليل النقدي لكافة المشكلات الفكرية:

لقد تميز الفكر اليوناني في معالجته لقضايا الطبيعة والإنسان بل والالهية أيضاً بالطابع التحليلي النقدي حيث لم يكن المفكر اليوناني بخضع لأي سلطة عدا سلطة عقله الواعي في تفكيره وتأملاته. فلقد حاول كل منهم أن يستخدم كل وسائله المعرفية من حواس وعقل وحس في أن يبرهن على مايراه من حلول للمشكلات التي تعرض لها وكان كل منهم يقدم الحجة تلو الحجة على صحة رأيه. فقد درجوا على أن ينقد بعضهم بعضاً ومن ثم كان التجاوز الفكري الذي يقوم به اللاحق على سابقة، فكان ذلك التطور الفكري المتلاحق الغزير الذي لم يشهد له التاريخ الفكري للإنسان مثيلاً حتى الآن. فمنذ نشأة الفلسفة عند اليونان نجد لدى فلاسفة ملطية الذين لقبوا بالطبيعيين الأوائل هذا

الأسلوب التحليلي النقدي، فانكسيمندر الذي أتى بعد طاليس ينتقده في قوله بالماء كأصل للعالم الطبيعي ويذهب إلى تفسير جديد ويأتي انكسيمانس لينتقد انكسيمندر في قوله بأن الأبيرون هو أصل العالم الطبيعي ويقدم تفسيره الجديد الذي اعتبر فيه أن الهواء هو الأصل. وتتلاحق الآراء على نفس النمط؛ انتقاد الآراء السابقة وعلى ضوء هذه الإنتقادات التي يوجهها المفكر إلى سابقه يتبلور رأيه الجديد مصحوباً بالأدلة على صحته.

وقد ساعدت قدرة فلاسفة اليونان النقدية على ظهور هذا الكم الكبير من الإتجاهات الفكرية في فترة زمنية محدودة ففي مالا يزيد عن قرنين من الزمان ظهرت معظم الإتجاهات الفلسفية المعروفة منذ ذلك التاريخ وإلى الآن؛ فمنذ مطلع القرن السادس قبل الميلاد إلى نهاية القرن الخامس ظهر الاتجاه الطبيعي المادي لدى الطبيعيين الأوائل والمتأخرين، وظهر الإتجاه المثالي لدى الفيثاغورية والإيلية، كما ظهرت بؤاد نظريات المعرفة المتباينة فظهرت الدعوة إلى الآخذ بالحواس كمصدر للمعرفة لدى الذريين ثم تطورت عند السوفسطائيين،

كما ظهرت بوادر المذهب العقلي عند سفراط وتطورت لدى تلميذه أفلاطون. كما تبلورت في نفس الوقت الإعتقادات المختلفة حول الألوهية التي تراوحت بين الإعتقاد في إله واحد وحتى الإعتقاد في الألهة الشعبية المتعددة.

ثالثاً: الإعتقاد بأن لا شيء يأتي من لا شيء:

لقد كان من خصائص الفلسفة في العصر اليوناني عموماً الإعتقاد بهذه المقولة التي تعني أنه لا شيء يأتي من العدم. وهذا إعتقاد نجده لدى كل فلاسفة اليونان بدون استثناء، فمنذ المدارس الطبيعية الأولى التي ركزت بحثها حول أصل العالم الطبيعي من النظر في هذا العالم الطبيعي نفسه وجميعهم يعتقدون بأن لا شيء يأتي من لا شيء، وقد كان للمدرسة الذرية الدور الأكبر في ترسيخ هذا الإعتقاد حيث أكد زعيمها لوقيبوس وديمقريطس ذلك. وحتى حينما قال أفلاطون في محاورته الشهيرة "طيمائوس" بأن العالم حادث لم يقصد بذلك القول أن العالم قد جاء من عدم، وإنما قصد أنه قد أحدثه محدث أو صنعه صانع، وهو لم يحدثه أو يصنعه من عدم بل صنعه من

مادة قديمة و"مثال" قديم. أما أرسطو فقد كان يعتقد هو الآخر في وجود "المادة الأولى أو الهوى الأولى" سابقة لذلك التمايز الذي نشهده بين العناصر الأربعة في هذا العالم الطبيعي.

وعلى أى حال فسنجد هذه الخصائص ماثلة في فكر من سنعرض لهم من المفكرين اليونانيين وقد اقتصرنا هنا على أكثرهم إهتماماً بمشكلات الإنسان وقضاياها الاجتماعية والأخلاقية. ومن ثم سنبدأ من السوفسطائيين أول من حول مسار الفكر اليوناني إلى الإهتمام بالإنسان.

الفصل الثالث

السوفسطائيون

وحركة التنوير في الفكر اليوناني

السوفسطائيون وحركة التنوير في الفكر اليوناني

تمهيد:

السوفسطائيون جماعة من مفكرى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ولم تكن كلمة سوفسطائى التى أطلقوها على أنفسهم - وهى كلمة قديمة جدا - تحمل ما يشين؛ اذ اتخذها السوفسطائيون أنفسهم - الأستاذ أو الحكيم حيث كان كل واحد منهم يدرس - ليس لتعليم الشباب بعض الأشياء التى كان يظن أنها تتفعهم فى حياتهم العملية، ولما كانت الدولة فى ذلك الوقت لا تخصص من مالها شيئاً لمثل هذا التعليم فقد علم السوفسطائيون من كان مقدورهم أن يدفعوا أجور تعليمهم من أموالهم الخاصة.

ولقد ظهر السوفسطائيون تلبية لحاجة ماسة فى المجتمع اليونانى حيث شهد هذا القرن تحولاً فى نظم الحكم فى دول المدن اليونانية، حيث إنتقلت من أنظمة الحكم الارستقراطية التى شابها الإستبداد إلى النظام الديمقراطى الذى أعطى الفرصة لكل من يمتلك موهبة خطابية قادرة على الإقناع أن يصبح حاكماً،

وقد وصل بريكليس إلى حكم أثينا بفضل مواهبه الخطابية الفائقة.

وقد كان السوفسطائيون يتميزون وعلى رأسهم زعيمهم بروتاجوراس منذ البداية بسمتين هامتين ساعدتهم على الانتشار والازدهار:

أولهما: أنهم كانوا من المتبحرين الماهرين في كل الفنون والصنائع ويتباهون بمعرفة جميع أسرارها خاصة الصنائع النافعة للإنسان في حياته العملية ومن ثم فهم القادرون على تعليم الناس هذه الصنائع المفيدة.

وثانيهما: أنهم كانوا على علم واسع بأسرار اللغة والبلاغة وكانوا بارعين في فنون الجدل والخطابة فكان بإمكانهم أن يعلموا الدارس كيف يستحوذ على أذن السامعين ويفوز بعطفهم ورضائهم.

أولاً: أراؤهم في المعرفة الإنسانية والأخلاق:

لقد عبر بروتاجوراس زعيم السوفسطائيين عن فكرهم في كتابه "عن الحقيقة" الذي فقد ولم تصلنا منه إلا شذرات قليلة

يبدأها بقوله "إن الإنسان معيار أو مقياس الأشياء جميعاً" وفي هذه العبارة القصيرة تكمن الثورة الفكرية للسوفسطائيين في مختلف ميادين الفكر.

إنها تعنى بالنسبة لنظرية المعرفة أن الإنسان الفرد هو مقياس أو معيار الوجود فإن قال عن شيء أنه موجود فهو موجود بالنسبة له، وإن قال عن شيء أنه غير موجود فهو غير موجود بالنسبة له أيضاً فالمعرفة هنا نسبية أى تختلف من شخص إلى آخر بحسب ما يقع في خبرة الإنسان الفرد الحسية. فما أراه بحواسي فقط يكون هو الموجود بالنسبة لي وما تراه أنت بحواسك يكون هو الموجود بالنسبة لك، وهكذا.

وعلى نفس النحو فإن فلسفة السوفسطائيين الأخلاقية تتولد من تلك العبارة، حيث يرون أن الإنسان هو أيضاً معيار الخير والشر فإن قال عن شيء أنه خير فهو خير بالنسبة له، وإن قال عن شيء أنه شر فهو شر بالنسبة له أيضاً. وهذا إقرار بنسبية الفضيلة واختلافها من فرد إلى آخر، فما أراه أنا سلوكاً فاضلاً قد تراه أنت سلوكاً شريراً، وهكذا.

ولما كان الإنسان الفرد يقيم الخير والشر تبعاً لما ينفعه أو يضره فقد وحد السوفسطائيون وعلى رأسهم بروتاجوراس بين الفضيلة والمنفعة، فما يعود على بالنفع هو خير بالنسبة لى وما يعود على بالضرر فهو شر بالنسبة لى. وهكذا لم يعد هناك معيار موضوعى لقياس الحقيقة أو لقياس الفضيلة عند السوفسطائيين بل أصبحت كلها تعود إلى ما يراه الإنسان وما يعود عليه بالنفع أو بالضرر.

وقد هاجم كل من سقراط وأفلاطون هذه الآراء السوفسطائية واتهموا السوفسطائيين بأفطع أنواع التهم، حيث رفضاً قولهم بنسبية المعرفة والفضيلة. وأكدوا على أن الفضيلة مطلقة وليست نسبية تختلف باختلاف الأفراد وبإختلاف الأزمنة والأمكنة التى يعيشون فيها. فقد امتاز الإنسان بما هو كذلك فى نظر سقراط وأفلاطون بعقل يمكنه من معرفة مالا يمكن أن يقع فى خبرته الحسية، كما أن هذا العقل يمكنه التفكير والتأمل فيما وراء هذا العالم الطبيعى المحسوس.

ثانياً : أراؤهم السياسية والاجتماعية:

لقد كان لتلك الاراء المعرفية والأخلاقية الجريئة عند السوفسطائيين نتائجها على الصعيدين السياسى والاجتماعى حيث نجد زعيمهم بروتاجوراس يميز بين اصطلاحين هامين هما: الموجود بالطبيعة Physis والموجود بالاتفاق nomos أى الموجود باتفاق البشر ومن صنعهم، ويضع بناءً على ذلك نظرية جديدة فى أصل الحضارة الإنسانية عمادها أن الإنسان هو صانع حضارته فبالعلم والخبرة والعمل صنع الإنسان كافة مظاهر الحضارة من لغة ومدنية سياسية واجتماعية وتقنية، كما صنع فنونه وأدابه ومعتقداته الدينية.

ولا يخفى علينا مال هذه النظرية فى أصل الحضارة الإنسانية من جوانب إيجابية تدفع الإنسان إلى المزيد من العمل والإختراع العلمى للمزيد من التقدم الحضارى.

كما أن قولة بروتاجوراس الشهيرة "أن الإنسان معيار الأشياء جميعاً" قد ساهمت فى أن يتمسك الإنسان الفرد فى

اليونان بحريته السياسية وبحقه في اختيار من يحكمه، وأن يتمسك كذلك بحريته في التفكير والتعبير إلى أقصى حد.

وقد امتدت نتائج هذه العبارة إلى زعزعة المعتقدات الراسخة لدى اليونانيين بخصوص الرق، حينما ناقش السوفسطائيون قضية الرق متسائلين: هل كانت الطبيعة هي التي فرضته أم هو أمر اتفاقي اصطنعه البشر؟!

وهاهو الشاعر المسرحي يوريبيديس يجيب قائلاً "أن العبد عبد بالإسم وليس بالطبيعة" ويتفق معه السوفسطائي الكيداماس حينما يقول "أن الالهة قد خلقت الناس أحراراً ولم تخلقهم عبيداً" وهاهو السوفسطائي الكبير انطيفون يتفق معهما - رغم أنه كان مناوئاً لبروتاجوراس باعتباره من السوفسطائيين أتباع الطبيعة وليس من أتباع الإنسان كبروتاجوراس وجورجياس - حينما يقول "أننا نحترم أولئك الذين ولدوا من بيت عريق ونمجدهم أما الذين لم ينشأوا من أصل نبيل فلا نحترمهم ولا نمجدهم. وفي هذه الحالة لا يتصرف أحدنا بالنسبة لأحدنا الآخر تصرف المتحضرين بل المتبربرين مادامت الطبيعة قد حبت الناس

جميعاً بنفس المواهب من جميع الوجوه سواء كانوا يونانيين أم غير يونانيين".

إن السوفسطائيين جميعاً إذن يؤمنون بأنه لا فرق بين يوناني وغير يوناني ويرفضون مسألة الرق باعتبارها من الأمور التي اصطنعها البشر وليست أمراً طبيعياً. وهنا نلمس جوهر الحركة التنويرية في الآراء السوفسطائية حيث الدعوة إلى نبذ التفرقة بين البشر وترك الحرية للجميع ليعبر كل واحد عن آرائه ومعتقداته في جميع المجالات. ونحن وإن كنا نختلف مع السوفسطائيين في دعوتهم إلى نسبية المعرفة ونسبية الأخلاق فإننا ولا شك معهم في النتائج التي ترتبت على هذه الآراء خاصة فيما يتعلق بأصل الحضارة الإنسانية ونبذ الرق والدعوة إلى المساواة بين البشر.

الفصل الرابع

سقراط

والدعوة إلى معرفة النفس

وإعمال العقل في الأخلاق

سقراط والدعوة إلى معرفة النفس وإعمال العقل في الأخلاق

تمهيد:

إحتل سقراط الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد فيما بين عامي ٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م مكانة فريدة في تاريخ الفلسفة الغربية لأسباب عديدة منها؛ أنه كان المفكر الذي عاش فكره وتلك سمة انفرد بها دون غيره من الفلاسفة الذين كثيراً ما انفصل لديهم القول عن الفعل. ولذلك فقد حقق سقراط تأثيره فيمن جاء بعده بمواقفه وسلوكه وليس بما كتبه والمعروف أنه لم يكتب شيئاً وأن أفلاطون هو الذي عبر عن آرائه في ما يسمى لديه بالمحاورات السقراطية (أى المحاورات التي كتبها ليخلد فيها ذكرى أستاذه سقراط حياة وفكراً).

كما أن سقراط قد تميز بالتواضع الشديد الذي جعله رغم قدراته الفكرية والجدلية الفذة - يقر بجهله ويقول أن حكمته تكمن في إقراره بأنه لا يعرف شيئاً، وقد اتخذ من ذلك منهجه

الفكري الذي اطلق عليه "التهكم والتوليد" حيث كان يعتمد في مناقشاته مع الآخرين كشف جهلهم بما ادعوا معرفته. وقد دعاه ذلك إلى رفع شعار "اعرف نفسك"، وقصد بذلك أن على كل إنسان أن يتأمل في نفسه أولاً وأن يدرك قدراته المعرفية ويسلك وفقاً لما يمليه عليه عقله الواعي.

أولاً : آراؤه حول النفس والمعرفة:

لقد استطاع سقراط ببراعة أن يقدم أول تمييز في الفلسفة الغربية كلها بين مفهوم النفس ومفهوم الجسم، وأن يؤكد جوهرية النفس واختلافها عن الجسد، لقد اكتشف سقراط المفهوم الروحي للنفس ونظر إليها على أنها جوهر متميز عن الجسم المكون من العناصر الأربعة.

ونظر إلى النفس الإنسانية باعتبارها نفساً عاقلة تمتاز بالعقل الذي اعتبره هبة الهية على الإنسان أن يستخدمها في كل شيء. ان جل تركيز سقراط كان على العمل الأساسي لهذا الجانب العاقل وهو الجانب القدسي من النفس الإنسانية، أنه في نظره هو إدراك حقيقة الأشياء والكشف عن ماهيتها الثابتة التي

لا تتغير. وكذلك رأى سقراط أن وظيفة العقل إنما تكمن أيضاً في إدراك طبيعة الخير والفضائل وتوجيه سلوك الإنسان تبعاً لذلك. ومن هنا قيل دائماً أن سقراط كان داعيةً للحفل في الأخلاق، حيث أنه لم يكن ممن دعوا إلى المعرفة العقلية التأملية النظرية بل كان دور العقل لديه يتمثل في إدراك الخير وإرشاد الإنسان إلى سلوك طريقه.

ثانياً : آراؤه في التوحيد بين الفضيلة والمعرفة:

ولقد دعى سقراط من خلال ذلك إلى التوحيد بين الفضيلة والمعرفة، وقد عبر عن ذلك بقوله "إن الفضيلة علم والرذيلة جهل". وأبسط ما توحى به هذه العبارة من معنى أن فعل الرذيلة في نظر سقراط يعد خطأ عقلياً ينم عن جهل صاحبه بمعنى الفضيلة ومن ثم تكون الشرور التي يفتريها الإنسان أفعالاً غير إرادية أو غير عاقلة ليس فيها أي تقدير للعواقب والآثار المدمرة للفرد وللإنسان عموماً. إن الإنسان في نظر سقراط يقدم على فعل الشر حينما يتوقع توقعاً زائفاً أنه سيحصل منه على خير كالجاه أو ثروة أو سلطان أو أى لذة، ولا يأخذ في إعتبره

حينذاك أن اثم الروح الذي ارتكبه أثقل بكثير من هذه المكاسب المزعومة. ومن عبارات سقراط الشهيرة أيضاً قوله "أن الفضيلة علم لا يعلم" التي قصد بها أن الفضيلة علم كامن في النفس، ومن ثم فهي علم من نوع خاص؛ فهي ليست كالعلوم التي ينبغي أن نتلقاها عن معلم، حيث أنها في رأيه علم كامن في النفس مرده إلى الضمير الأخلاقي الموجود بداخل كل منا. ان تلك العبارة لا تفهم إلا على ضوء عبارة "اعرف نفسك" التي اتخذ منها سقراط شعاراً لكل فلسفته، فهذه العبارة تعنى ضمن ما تعنى اعرف ما يناسب نفسك، وما يناسب النفس العاقلة عنده يختلف بالطبع عما يناسب الجسد، وما يناسب النفس أن تسلك طريق الفضيلة، وهي لن تسلك هذا الطريق بإرشاد المعلمين خاصة إذا كانوا من السوفسطائيين الذي أشاعوا النسبية والمنفعة في تصورهم للفضيلة.

ان سلوك طريق الفضيلة – وهو ما يتناسب مع جوهر الإنسان العاقل – يبدأ من استفتاء النفس الإنسانية العاقلة واستلهاهم ضميرنا الأخلاقي، وحينما تتبع الفضيلة من الداخل، فإنها ستظهر في سلوك الفرد دائماً ودون حاجة لمعلم.

لقد أراد سقراط بعبارة أن الفضيلة علم لا يحتاج إلى معلم أن يقطع الطريق أمام السوفسطائيين الذين كانوا يرددون "أن الفضيلة ليست علم وإنما تعلم" وهي عكس عبارة سقراط تماماً. فقد أباحوا من خلالها لأنفسهم تعليم الناس الفضيلة بحسب تصوراتهم المختلفة فطالما أن الفضيلة حسب ذلك القول السوفسطائي ليست علماً فهي ليست ذات قواعد ثابتة مطلقة متفق عليها، بل متغيرة نسبية بنسبية من يعلم ومن يتعلم، فهي إذن خاضعة لأهواء كل فرد على حده.

أما سقراط فقد أراد بقوله أن الفضيلة علم أنها ذات قواعد ثابتة لا تتغير بتغير الأشخاص أو باختلاف أهوائهم.

ولقد أضاف سقراط مؤكداً نفس المعنى "إن كل الفضائل شيء واحد" وذلك الشيء بالطبع هو إدراك الخير، ومن أدراك الخير في كل المواقف صار فاضلاً بصرف النظر عن اسم الفضيلة فهو سيصير شجاعاً، كريماً، وفيّاً، أميناً، صادقاً... إلخ. فالاختلاف بين الفضائل اذن هو مجرد اختلاف في أسمائها أما جوهرها فهو عنده واحد ثابت لا يتغير. فما نجده في حياتنا من فضائل متعددة كالصدق أو الشجاعة أو الكرم أو الأمانة إنما هي

في الحقيقة مجرد أسماء لمسمى واحد هو إدراك الخير أى
الفضيلة التى لا ينفصل فيها عند فيلسوفنا الإدراك النظري عن
السلوك الفعلى. وقد كانت حياة سقراط كلها سلسلة من المواقف
التي برهن فيها على ذلك، ويكفي أن نقرأ أحداث محاورة الدف
التي كتب فيها أفلاطون عن محاكمة سقراط ليتضح لنا
سقراط عاش فلسفته وأنه قبل حكم المحكمة الظالم عليه بالمو
بشرب السم حتى لا يقال عنه أنه لم يحترم قانون بلاده وه
الذي نادى طيلة حياته بضرورة احترام القانون.

الفصل الخامس

أفلاطون والإتجاه نحو المثال

فسي

معالجة مشكلات الإنسان

وتفسير الطبيعة

أفلاطون

والاتجاه نحو "المثال" في معالجة

مشكلات الإنسان وتفسير الطبيعة

تمهيد:

يمثل أفلاطون في تاريخ الفكر الفلسفي العالمي مكانة لم يرق إليها أحد من الفلاسفة، وذلك لأسباب عديدة، منها: أنه هو الذي رسم للتفلسف منهجة الحق القائم على الحوار وكان خير من طبق هذا المنهج في محاوراته المكتوبة ودروسه الشفهية في مدرسته الفلسفية "الأكاديمية"، كما أنه كان صاحب أول مذهب فلسفي متكامل عالج فيه كل قضايا الإنسان ومشكلات تفسير الطبيعة من خلال فكرته الأصيلة والتي كانت محورا لكل فلسفته فكرة "المثال" والتمييز بين عالم الأشياء وعالم "المثل"، كما أنه وتلميذه أرسطو قد تقاسما التأثير على الفكر الإنساني منذ العصر اليوناني وطوال العصر الوسيط وحتى العصر الحديث، وإن كان الأستاذ قد تميز عن التلميذ بأنه من الفلاسفة القلائل الذين حاولوا البعد عن الدوجماتيكية الفلسفية، فكان دائم التطوير والتجديد في آرائه الفلسفية طول حياته، فعلى الرغم من مثاليته

السياسية التي اشتهر بها في محاوره "الجمهوريه"، إلا أنه قد طورها من مثالية متطرفة في تلك المحاوره إلى مثالية تأخذ بمتطلبات الواقع وتراعى رغبات الإنسان الطبيعية في آخر محاوراته السياسية "القوانين" بعد ما عبر عن أسس هذا التحول نحو الواقعية السياسية في محاوره "السياسي".

ان أفلاطون فيلسوف أثينا الذي عاش فيما بين عامي ٤٢٨ ، ٣٤٨ ق . م قد عُد بحق لكل الأسباب السابقة الفيلسوف الأعظم في تاريخ الفلسفة، ولم يكن غريباً أن يقول عنه أحد الفلاسفة المعاصرين "أن تاريخ الفلسفة ما هو إلا مجرد هوامش على فلسفة أفلاطون".

أولاً : نظريته في الوجود الحقيقي وطرق معرفته:

ان الوجود الحقيقي عند أفلاطون إنما يتمثل فيما يسميه وجود "المثل" فهو يميز بين عالمين؛ عالم الأشياء أى هذا العالم المحسوس، وما يسميه "عالم المثل". أما العالم المحسوس فهو عالمنا الطبيعي هذا، أما عالم المثل فهو عالم مفارق له، والمثال Idea هو الحقيقة الكلية المفارقة، هو أصل الشيء الذي يمثل صفاته الجوهرية، هو القالب أو النموذج الذي يُقرر على مثله.

وقد تطورت نظرية أفلاطون عن "المثل" في محاوراته المختلفة، فأصبح عالم المثل عنده ببساطة هو ذلك العالم المفارق لعالمنا الأرضي، وهو في نفس الوقت عالم موازى له وأصل له بحيث أن لكل فئة أو نوع من أنواع الأشياء فى عالمنا الحسى هذا "مثاله" الواحد فى عالم المثل.

وهذا "المثال" هو أصل هذه الكثرة من الأفراد التى نجدها لأى نوع من الأنواع، فهناك مثال واحد للإنسان ينطبق على كل فرد من أفراد البشر، وهناك مثال واحد للكرسى ينطبق على كل ما نشاهده من كراسى فى هذا العالم المحسوس .. وهكذا ..

ومن ثم يكون المثال هو الأصل وهو الحقيقة الجوهرية التى على أساسها صنع "الإله الصانع" هذه الكثرة من الأشياء، وذلك عن طريق مزج المثال بالمادة فتكون هذه الكثرة من الأفراد فى العالم المحسوس .فلولا "المثال" عند أفلاطون ما كان "عالم الأشياء" ، فليس هذا العالم المحسوس إذن إلا مجرد ظل لهذا العالم المعقول "عالم المثل".

إن على الإنسان إذا ما أراد أن يعرف حقيقة الوجود إذن أن يفصل ولو بعض الوقت عن الانخراط فى هذا العالم

المحسوس بتطهير نفسه وعقله حتى يمكنه تأمل حقيقة هذا العالم بمعرفة أصله وجوهره عن طريق "حدس" المثال، أى الانتقال من معرفتنا المحسوسة وهي معرفة "وهم" و "ظن" عند أفلاطون إلى معرفة "المثال" بالحدس المباشر أي بالرؤية العقلية المباشرة وذلك عن طريق الديالكتيك أو الجدل الذي عرفه افلاطون بأنه الانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة، أى الانتقال من فكرتنا الظنية المشوشة عن العالم المحسوس إلى عالم الأفكار في ذاتها أى عالم المثل، عالم الحقائق بتوسط الأفكار الرياضية. وذلك يعني أن المعرفة عند أفلاطون درجات وهو لا يعترف بأهمية المعرفة الحسية بل يعتبرها كما هو واضح معرفة ظنية وهمية ينبغي أن نتجاوزها بتعلم العلوم الرياضية التي يتدرب فيها العقل على تجاوز عالم الأشياء ويصبح جاهزاً لتأمل المعقولات. ومن ثم تكون الدرجة الارقى من المعرفة وهي معرفة "المثال" عن طريق الحدس العقلي المباشر له، فالجدل عنده إذن هو أداة الارتقاء من معرفتنا بالعالم المحسوس وهي معرفة ظنية كما قلنا إلى المعرفة اليقينية بالمثال وهو جوهر الشيء وحقيقته وهي معرفة حدسية بتوسط المعرفة الرياضية وهي معرفة استدلالية.

ثانياً : آراء أفلاطون في النفس وقضايا الإنسان:

في ضوء ذلك التمييز الأفلاطوني بين عالم المثل والعالم الطبيعي المحسوس، ميز كأستاذه سقراط داخل الإنسان بين النفس والجسد واعتبر أن النفس جوهر متميز عن الجسم.

لقد تحدث عن طبيعة النفس الإنسانية وارتباطها بالجسم فقال إن بها قوى ثلاث؛ قوة العقل وهي في الرأس من الجسم، وقوة الغضب ومكانها الصدر، وقوة الشهوة وهي في الجزء الأسفل من الجسم فيما دون الحجاب الحاجز. وهذه القوى الثلاثة في صراع دائم، فالعقل يميل دائماً إلى الخير والحكمة، وتقابلة القوة الشهوانية التي تستهدف ارضاء حاجات الإنسان الغريزية المادية أما القوة الغضبية فهي قوة وسيطة بين القوتين السابقتين قد تتحمس لإحدهما دون الأخرى.

وقد شبه أفلاطون النفس بعربة يجرها جوادان أحدهما أسود جامح وهو رمز للقوة الشهوانية، والآخر أبيض طيب وهو رمز الغضبية، ويقود هذه العربة الحوذي الذي يرمز إلى القوة العاقلة في النفس. وبالطبع فإنه كلما استطاع هذا الحوذي أن يسيطر على الجوادين كلما سارت العربة في الطريق الصحيح.

وهكذا الأمر بالنسبة للنفس الانسانية عند أفلاطون فكلما استطاع العقل أن يتحكم فى قوى الشهوة والغضب عاش الإنسان حياة أخلاقية سامية واستطاعت النفس أن تكون فعلاً قائداً للجسم وتوجهه التوجيه السليم.

وهنا نجد الارتباط بين نظرية افلاطون فى طبيعة النفس بقسمتها الثلاثية تلك، وبين نظريته الاخلاقية، حيث ان لكل قوة من قوى النفس الإنسانية فضيلتها التي ينبغي أن تتصرف طبقاً لها. فالحكمة فضيلة القوة العاقلة، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوانية.

إن "العدالة" وهى أعلى الفضائل الأخلاقية وأهمها عند أفلاطون لا يمكن أن تتحقق داخل النفس الإنسانية إلا بتحكم العقل - إذا تحققت فيه فضيلة الحكمة - فى القوتين الأخريتين، إذ أن تحكم العقل فى الغضب يحقق فضيلة الشجاعة، وتحكمه فى الشهوة يعنى تحقق فضيلة العفة.

وهكذا نجد أفلاطون مثل أستاذه سقراط يرى - رغم طريقتيه المختلفة فى التحليل - ضرورة إعمال العقل فى السلوك حتى تتحقق الأخلاقية فى الإنسان ويكون عادلاً مع نفسه. وهذه

العدالة مع النفس تتحقق إذا ما استطاع الإنسان العاقل أن يقيم التوازن بين قواه النفسية بتحقيق كل منها لوظيفتها وهي متحلية بفضيلتها، فالقوة العاقلة تتأمل لكن بالحكمة، والقوة الغضبية تغضب لكن دون افراط وبشرف، والقوة الشهوانية تشتت لكن دون افراط أي بعفة. انه إذا ما تحققت فضيلة العدالة داخل نفس الانسان على هذا النحو المتوازن لتحققت سعادته القصوى. إن حياة الفضيلة عند افلاطون هي الحياة السعيدة، إذ أن حياة الفضيلة والسعادة أشبه بوجهي العملة عنده كما كان نفس الشيء عند أستاذه سقراط.

وهنا يمكننا الانتقال من الحديث عن النفس الإنسانية ونظرية أفلاطون الأخلاقية إلى نظرياته السياسية وخاصة نظريته في "الدولة المثالية"، لأن تحقيق العدالة داخل الفرد هو الصورة المصغرة لما يريد أفلاطون تحقيقه في الدولة المثالية.

يوضح أفلاطون فكرته عن العدالة في الدولتين خلال الوظيفة أو التخصص، فكل فرد مؤهل بالطبيعة لأداء وظيفة معينة، ولا تتحقق العدالة إلا في مجتمع يتألف من صنوف مختلفة من الناس كل منهم مؤهل لأداء وظيفة معينة حسب ما

جبل عليه من مواهب فطرية بحيث يحدث التكامل بين هؤلاء الناس بتلبية احتياجاتهم المادية والمعنوية بما يؤدونه من وظائف متباينة وفقاً لتلك المواهب الفطرية.

وفي ضوء ذلك الفهم يقدم أفلاطون تصوره للعدالة في الدولة على أنها "إعطاء كل فرد ماله وأن يقوم بما عليه"، أما "ما للفرد" هنا فهو أن تتيح له الدولة فرصة العمل حسب حالته الكائنة بالفعل في ضوء مواهبه ومؤهلاته ومرانه. أما المقصود "بما عليه" فهو أن يؤدي هذا العمل بأمانه وإخلاص شديدين، ولا يتضح أهمية ومعنى هذا التعريف للعدالة إلا إذا عرفنا أن صاحبه يميز في الدولة بين طبقات ثلاثة مرادفة لتمييزه السابق بين قوى ثلاثه في النفس الفردية، وهذه الطبقات الثلاثة هي؛ طبقة الحكام وهي تقابل القوة العاقلة من النفس، وطبقة الجند وهي تقابل القوة الغضبية، وطبقة المنتجين وهي تقابل القوة الشهوانية من النفس. ولكي تتحقق العدالة في الدولة كما تحققت في الفرد فلا بد أن تؤدي كل طبقة من هذه الطبقات وظيفتها على الوجه الأكمل على أساس أن يتحلى أفرادها بالفضائل، إذ تؤدي طبقة الحكام وظيفتها وهي الحكم على أساس من تحليلها

بفضيلة الحكمة، وتؤدي طبقة الجند وظيفتها وهي الدفاع عن الدولة على أساس من تحليلها بفضيلة الشجاعة، وتؤدي الطبقة الثالثة وظيفتها في انتاج الخيرات المادية في الدولة من زراعة وصناعة وحرف متباينه إذا ما تحلى أفرادها بفضيلة العفة.

وينبغي أن نلاحظ هنا أن الفصل الصارم الدقيق بين هذه الطبقات الثلاث ليس دعوة إلى النظام الطبقي بصورته المعروفة والشائعة في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث إذ أن الانتساب إلى هذه الطبقات عند أفلاطون ليس مجرد وراثة لأن المثل الأعلى المنشود لديه هو المجتمع الذي يحقق السعادة لكل افراده بحيث يتاح لكل طفل يولد فيه الانتفاع بأرقى أنواع التدريب الذي يتلاءم مع طبيعته بحيث يصبح مواطناً صالحاً له وظيفته الخاصة في الدولة بحسب مواهبه وما يتلقاه من تدريب.

ولكن ما السبيل الذي يراه أفلاطون ضرورياً لتحقيق هذا التوافق التام بين الأفراد والطبقات وما يرتقب أن يشغله هؤلاء الأفراد من وظائف عامة في الدولة؟

انه يرى امكانية تحقيق هذا التوافق المطلوب بطريقتين، فإما أن تزال العوائق الخاصة التي تعترض قيام هذا المجتمع

المثالي، وأما أن نغرس ما نطمح إلى تحقيقه في هذا المجتمع في الفرد منذ طفولته حتى يصبح مواطناً صالحاً. والطريقة الأولى تؤدي إلى ما سمي عنده بنظرية الشيوعية، والطريقة الثانية تؤدي إلى نظريته في التربية.

أما نظريته في الشيوعية فتتلخص في أنه وجد أن فساد الدول يبدأ من فساد طبقة الحراس فيها (وهذه تسمية شائعة عنده يشير بها إلى طبقتي الحكام والجند). وفي تحليله لأسباب فساد الحكام والجند وجد أنه الصراع بين أفرادهما على الملكية أو على النساء.

ومن ثم فقد قرر أن الحل السريع لإزالة أسباب هذا الصراع هو إلغاء الملكية وإلغاء الزواج، وعلى ذلك اتخذت نظريته في الشيوعية شكلين أساسيين هما: شيوعية الملكية وبمقتضاها تحرم الملكية الخاصة لأفراد هاتين الطبقتين (الحكام والجند) بكافة أشكالها سواء كانت أموالاً أم عقارات وخلافه على أن تقوم الدولة برعاية هؤلاء الأفراد وتلبية كل حاجاتهم وتوفيرها لهم. أما الشكل الثاني فهو شيوعية النساء وهو يقوم على إلغاء نظام الزواج الفردي والاستعاضة عنه بالزيجات

الموجهة من قبل الدولة لانتاج أصلح سلالة ممكنه، إذ تتم هذه الزيجات فى أوقات معينة وعن طريق الانتخاب الذي تقوم به هيئة تابعة للدولة.

وعلى ذلك يتضح أن شيوعية أفلاطون كانت ذات أهداف سياسية بحثه أساسها محاولته الحفاظ على وحدة الدولة وتجنب كل أسباب الصراع داخل أهم طبقاتها. وبالطبع فإن أفلاطون هنا قد تابع منطق العقل إلى النهاية ولم يراع أن للفرد أيا كانت الطبقة الكائن فيها رغبات فطرية لا يمكن تجاهلها أهمها الملكية والنزوع إلى الزواج الفردى. كما أن ما تصور أنه قد يكون حلاً شافياً للمشكلة قد يكون هو نفسه السبب في صراعات ومشكلات جديدة.

ولكن على أى حال، فالحق أن أفلاطون على الرغم من الأهمية التى علقها على الشيوعية كوسيلة لازالة العقبات التى تعترض تأدية رجل الدولة وظيفته على الوجه الأكمل، فإنه قد ركز أكثر على النظام التعليمي التربوي كوسيلة إيجابية تستطيع بها الدولة تربية أولادها وتأهيلهم ليؤدوا وظائفهم على أرقى صورة دون مساس بحقوقهم الطبيعية.

وعلى ذلك فقد ركز أفلاطون على النظام التعليمي التربوي في محاورة "الجمهورية" لدرجة جعلت روسو - فيلسوف التنوير الشهير في العصر الحديث - يقول أنها لم تكن كتاباً في السياسة بل كانت أعظم ما كتب في نظام التربية والتعليم على الإطلاق، وقد جاءت مراحل التعليم فيها أربعة على النحو التالي:

أولها : مرحلة تبدأ منذ حداثة الطفل وتستمر حتى بلوغه سن الثامنة عشرة، وفيها يبدأ القائمون على هذا النظام بالفصل بين كل الاطفال المتقدمين على أساس صلاحيتهم الجسمية وليس على أساس طبقى وبعد أن يفرزوا الأجدر من هؤلاء الأطفال يتعهدونهم بالرعاية على أساسين: سلامة الجسم وتكون بممارسة التمرينات الرياضية والأخذ بنظام غذائي متكامل، وسلامة النفس وتكون بتغذيتها بالآداب والفنون الراقية التي من شأنها تهذيب النفس وترقية الذوق.

وثاني هذه المراحل، مرحلة تبدأ من سن الثامنة عشرة وتستمر إلى سن الثلاثين، وهذه تنقسم إلى قسمين، فمن الثامنة

عشرة إلى العشرين يخضع الفتيان والفتيات للتدريبات العسكرية الشاقة، فإذا ما بلغوا سن العشرين فصل الاجدرون منهم على حده لينتقلوا إلى القسم الثاني الذي يدرسون فيه إلى سن الثلاثين العلوم الرياضية (الحساب - الهندسة - الفلك - الموسيقى) التي من شأن دراستها في نظر أفلاطون تدريب هؤلاء على استخدام الاستدلالات العقلية والتأمل ومن ثم تنمي فيهم القدرة على تلقى العلوم الفلسفية فيما بعد.

أما المرحلة الثالثة، فتتمد من سن الثلاثين إلى سن الخامسة والثلاثين وهذه السنوات الخمس تخصص لدراسة الفلسفة والجدل ليجيد الدارسون رجالاً ونساءً - الذين تربوا على حب الحق وعزة النفس وضعف الشهوة - فهم الحقيقة والدفاع عنها.

أما المرحلة الرابعة، فتبدأ من سن الخامسة والثلاثين وتستمر حتى الخمسين فيزج فيها بمن اجتازوا الاختبارات الخاصة بالمراحل السابقة في الحياة العامة فيتولوا المناصب الادارية العليا في الدولة لكي يكتسبوا الخبرة العملية بالحياة

السياسية ويتعودوا الإتصال بالناس وحل مشاكلهم. ومن يجتاز هذه المرحلة بنجاح فقد امتاز فى العمل كما امتاز من قبل فى التعليم النظري. ومن ثم يكون مؤهلاً لتولى مهام الحكم.

وهنا نكتشف الغرض من هذا النظام التربوي الطويل والشاق عند أفلاطون، أنه تأهيل الحكام الفلاسفة، لقد استهدف النظام التعليمى إذن تخريج هؤلاء الحراس (من جند وحكام) وقد زالت من نفوسهم كل شرور الطمع والفساد، وتدريبوا على أن يكونوا فلاسفة لا ينشغلون إلا بتأمل الحقيقة وفعل الخير. إنهم عرفوا مثال العدالة ومثال الدولة تدربوا على الحياة السياسية العملية بشغلهم الوظائف العليا فيها. ولذلك يكونوا هم رأس الدولة وحكامها وتكون حكومتهم هي الحكومة المثالية للدولة المثالية عند افلاطون. ولقد أدرك فيلسوفنا بحسه الواعي ونظرته التاريخية الثاقبة رغم كل ما قدمه من ضمانات للعدالة في الدولة المثالية أن هذه الحكومة المثالية حكومة الفلاسفة قد يتطرق إليها الفساد بعد عدة أجيال بفعل الواقع المتغير وتأثيره على طبائع البشر فقدم تصوراً لانتقال هذه الحكومة إلى صور عديدة من الحكومات الفاسدة على النحو التالي:

١ - حكومة الأرستقراطية الحربية:

وهذه أول الحكومات الفاسدة حيث يخضع العفل فيها للحماسة أو للقلوة الغضببة، وبعءن نئبئة للزببائ الخائئة أن يعقب الحكم الفلاسفة نسلا لا بمانل طبعنهم فى الاصالة والامئباز. ومن ثم بئولى هؤلاء الحكم وهم من لا بسعون إلى طلب الحكمة بل بقلب علبهم الحماسة للحرب نئبئة مبلهم إلى بقببب المعب العسكري ولبس إلى صلاح أأوال البولة والعمل لآبرها.

٢ - حكومة الأولبباربكة:

ان الببهور بنبما بصبب البكومة الساببة، ببببب المبل الأعلى لى أفرادها من بقببب المعب العسكري إلى بقببب البباء وكنز البباء ومن ثم بصبب الحكم هنا أولببارببون ببببون كل هببهم ببب أكبر برب من البباء عن بربب بربب الببانب البب بببب لهم بلك وفى ببل هبب البكومة بصبب البببب عببباً للمال، وببببب المبببب إلى فبببب، فبة بملك كل البباء وهبب بلبلة الببب، وفبة أخرى هبب الأكبب عببباً لا بملك من البباء بنبباً وإن كانت بملك البرب الأكبب من الببببلة.

٣- حكومة الديمقراطية:

ولما كان الصراع بين هاتين الفئتين حتمياً، ففي النهاية تنتصر الأكثرية من الفقراء ويستولون على الحكم بعد اعتقال أعدائهم من الأوليغاركيين، ويكونون حكومة ديمقراطية وهي غالباً ما تختار بالقرعة من عامة الناس ويصرح للجميع في ظلها بحرية الكلام والفعل، ومن ثم تنطلق كل الشهوات بلا تمييز وبلا تنظيم، ويصبح النظام في ظل هذه الحكومة كما يصوره أفلاطون كالثوب المزركش بكل الألوان لكنه في الواقع يجيز كل شيء تحت شعار الحرية فينقلب النظام إلى فوضى مما يؤدي إلى ظهور حكومة الطغيان.

٤- حكومة الطغيان:

وهذه هي أسوأ أنواع الحكومات على الإطلاق، حيث أن الشعب فيها عادة ما يختار شخصاً لفضله وينصبه قائداً ويضفي عليه قوة وسلطاناً حتى يكبح جماح الفوضى ويعود الجميع إلى النظام، لكن سرعان ما ينقلب هذا القائد إلى طاغية يستأثر بالسلطة بعد أن يمكن لنفسه ويلجأ إلى وسائل عديدة لإدامة هذا الاستئثار بالحكم فيشن الحروب على جيرانه، ويقطع رأس كل

منافس أو معارض لحكمة ويبعد كل الفضلاء عن دولته، ويحيط
نفسه بجنود مرتزقة ليحمونه من انتقام شعبه .. وفي ظل هذا
الحكم يجد الجميع انفسهم وقد خضعوا لأسوأ أنواع الحكم،
ويأبى الجميع الخضوع لأن نظام أوقانون حتى الحيوانات تتثور
على أوضاعها لأن الطاغية يحكم بمقتضى شهوة الشر والعدوان
فتختفي العدالة ويسود الظلم والتعاسة.

الفصل السادس

أرسطو

والإتجاه نحو إقامة التوازن

بين الواقع والمثال

أرسطو

والإتجاه نحو إقامة التوازن بين الواقع والمثال

أولاً : مكانته الفكرية:

لقد احتل أرسطو في تاريخ الفكر الغربي خاصة والإنساني عامة مكانة كبرى لا تقل عن المكانة التي احتلها أستاذه أفلاطون ان لم تزد في مواضع معينة، وذلك على الرغم من أن أرسطو (الذي عاش فيما بين عامي ٣٨٤ و ٣٢٢ ق . م) ظل تلميذاً لأفلاطون حوالي عشرين عاماً هي أخصب سنوات العمر الفكرية حيث مات الأستاذ وكان التلميذ في حوالي الأربعين من عمره.

ولقد استطاع التلميذ الفذ أن يتجاوز احترامه الشديد لأستاذه ولآرائه الفكرية وأن يشكل مذهباً فلسفياً ضخماً كما شكل مدرسة علمية اتجهت نحو الدراسة التجريبية للواقع، وذلك ما أهمله أستاذه تماماً. فكان ذلك الإهتمام بالواقع والأخذ عنه هو ما ميز مذهب الفيلسوف والعلمي عن مذهب أستاذه الذي اتسم بالمثالية كما رأينا من قبل.

وقد عبر برتراند رسل - وهو واحد من أهم الفلاسفة الغربيين المعاصرين - حينما أرخ للفلسفة عن مكانة أرسطو الفكرية بقوله "أنه في دراستنا لفيلسوف عظيم مثل أرسطو بصفة خاصة لا بد من دراسته على وجهين؛ فندرسه بالنسبة لأسلافه وبالنسبة لمن جاءوا بعده، أما بالنسبة لأسلافه فله عدد ضخم من الحسنات، أما بالنسبة لمن جاءوا بعده فله عدد لا يقل عن ذلك ضخامة من السيئات ولو أن تبعة سيئاته تقع على عاتقهم أكثر مما تقع على عاتقه هو، فقد جاء في ختام الفترة المتميزة بالأصالة من تاريخ الفكر اليوناني، ثم مضى بعد مونه ألفا عام قبل أن ينحسب العالم فيلسوفاً يمكن أن يدنو منه في مكانته، وفي أواخر هذه الحقبة الطويلة كان نفوذه قد بات في العلم وفي الفلسفة على السواء عقبة كؤودا في سبيل التقدم، فمنذ القرن السابع عشر ترى كل خطوة تقريباً من خطوات التقدم العلمي مضطرة أن تبدأ بالهجوم على رأى من الآراء الأرسطية".

وأعتقد أن هذه الشهادة من رسل تؤكد لنا مدى أهمية أرسطو الذي تقاسم هو وأستاذاه أفلاطون التأثير على كل ما شهده العالم من فلاسفة حتى الآن سواء بالإيجاب أو بالسلب.

وعلى أى حال فلنحصر حديثنا هنا عن دوره فى الفكر اليونانى الذى كان دوراً ضخماً وعظيماً ختم أزهى مرحلة فكرية شهدها العالم، فما هو هذا الدور الذى اضطلع به أرسطو؟ لكى يتضح لنا طبيعة هذا الدور ينبغي أن ندرك أن المشروع الحضاري للأمة اليونانية كان مشروعاً فلسفياً فى المقام الأول رغم اختلاف صيغ التعبير عنه من فلسفة وآداب وفنون وعلوم. وكان الإنجاز الذى قام به أرسطو تنويراً مجرداً لكل جوانب هذا المشروع.

ثانياً : فضل أرسطو على سابقيه:

لقد أسلم المشروع الفلسفي اليوناني نفسه لأرسطو على نمطين متعارضين؛ النمط الأول عبر عنه الإتجاه المادي الذي بدأه فلاسفة أيونيا من الطبيعيين الأوائل حيث امتزج لديهم التفسير الحسي المادي ببعض العناصر الأسطورية الخرافية الخيالية، ثم استكملها الطبيعيون المتأخرون حيث تخلص ديمقريطس ومدرسته الذرية من تلك العناصر الأسطورية وأحكموا التفسير المادي للعالم الطبيعي على أساس الذرات، كما دعم بروتاجوراس تلميذ ديمقريطس وأتباعه من السوفسطائيين هذا الاتجاه المادي في تفسير العالم الطبيعي بنظرية في المعرفة أكدت على نسبية المعرفة ومن ثم نسبية الوجود والأخلاق.

أما النمط الثاني، فقد عبر عنه الاتجاه المثالي الذي بدأه فيثاغورس ومدرسته حيث اختلط لديهم التفسير الرياضي للعالم بعناصر أسطورية دينية بدأت تنقلص على يد بارمنيدس وتلاميذه من الإيليين، ثم تبلور هذا الاتجاه على يد سقراط الذي فصل بين طبيعة النفس والعقل وبين طبيعة المادة والجسد، وبلغ ذروته عند أفلاطون الذي جعل من عالم المعقولات (المثل) عالماً مفارقاً وتضاءلت بجواره تماماً أهمية العالم المحسوس والأشياء المادية فصارت ظلالاً وأشباحاً.

من هنا كان على أرسطو وهو "العقل" و "القراء" كما أطلق عليه أفلاطون أن يقوم بمهمة مزدوجة؛ إذ كان عليه أولاً أن يحد من تطرف أتباع الإتجاهين الذي كان كلاهما يقلل من شأن الآخر. وكان عليه ثانياً أن يستكمل النقص في كليهما بتبني الأفكار الإيجابية من الإتجاهين بحيث أصبح الأقرب إلى الحقيقة لدية دائماً هو المزج بين المحسوس والمعقول، بين الجسم والنفس، بين المادة والصورة، بين الواقع والمثال.

ثالثاً : نظريته في العلم والمعرفة:

وقد نجح أرسطو إلى حد بعيد في مهمته تلك وكان مفناح نجاحه ما ابتدعه من اصطلاحات فلسفية جديدة عبرت بقوة عن هذا المزج الذي أراد إقامة البناء الفلسفي الجديد على أساسه خاصة اصطلاحاته الميتافيزيقية - الفيزيقية "الوجود بالقوة" أو "المادة"، و "الوجود بالفعل" أو "الصورة" كما كان ألة هذا النجاح هو ذلك المنهج العقلي الصارم الذي ابتدعه أرسطو بمستوياته البرهانيين؛ القياس والاستقراء.

ولما كان للمنهج الأسبقية المنطقية، فقد أولاه أهمية خاصة جعلته محور الإرتكاز في فلسفته وعلمه على السواء. وقد وضع منطقة أو بالأحرى بنى نظريته عن العلم على مستويين؛ مستوى سلبي تمثل في ذلك الجانب النقدي من منهجه حيث ركز على نقد النمط العلمي السائد والذي كان جوهره الجدل، فكشف في "الأغاليط السوفسطائية - السوفسطيقا" عن الجدل المغالطي الذي اتبعه السوفسطائيون حيث كانوا يستهدفون كسب المجادلات عن طريق اللعب بالألفاظ اللغوية سواء من حيث أنها مجرد ألفاظ أو أقوال أو من حيث المعنى، وقد نجح أرسطو في بيان تلك المغالطات سواء في القول أو خارج القول (المعنى) وعندها في ذلك الكتاب.

كما أوضح في كتابه "الجدل - الطوبيقا" الصورة الصحيحة للجدل باعتباره نوعاً من الأقيسة يبدأ من مقدمات شائعة أو مشهورة، ورغم أنه قد قنن الجدل وأوضح صورة القياس الجدلي وموضوعاته وفوائده إلا أنه لم يعتبره علماً بل اعتبره مجرد فن يستند على مقدمات ظنية زائفة كما قلنا.

وقد تكفل بالقضاء على السوفسطائيين تماماً، فلم نعد نسمع عن معلمين سوفسطائيين في عصر أرسطو، حيث كانت قد انتهت مهمتهم التنويرية بمحاربة سقراط وأفلاطون لهم واتهامهم بالإتجار بالأفكار وبأنهم مخادعون، وكان الفضل لأرسطو من بعدهما حيث تكفل بالكشف عن كيفية هذا الخداع السوفسطائي في "السوفسطيقا" وقنن الجدل في "الطوبيقا".

أما الجانب الإيجابي، فقد وازن فيه أرسطو بين العلم الإستنباطي البرهاني، والعلم الإستقرائي، وجعل من الاستقراء مقدمة ضرورية للقياس، فإن كان الاستقراء مبنى على المشاهدات والملاحظات الحسية فإنه لا يكتمل إلا حينما يصاغ ، هيئة أقيسة، فالقياس كان الصورة المثلى للصياغة العلمية ي نظره، كانت تلك هي الصورة التي رسمها أرسطو للتقدم في العلوم الطبيعية وعلوم الحياة.

أما التقدم في العلوم الرياضية، فقد ألمح أرسطو - رغم عدم تخصصه فيها - إلى أن تقدمها مرهون بمدى استطاعتها تحقيق الصورية الكاملة ولم يكن غريباً أن يركز على الإستنباط الصوري الرمزي في نظريته عن القياس البرهاني، وقد نجح أقليدس في استلزام تلك النظرية الأرسطية حينما قدم نظريته الإستنباطية الشهيرة في الهندسة.

على هذا النحو، نجح أرسطو - في علمه ومنطقه - في إقامة التوازن بين دور الإستقراء ودور القياس، وجعل من نظريته عن العلم امتداداً لنظريته في المعرفة التي دعى فيها إلى أدوار متوازنة للحس والعقل، فقد كان يدرك أن الحواس هي سبيلنا إلى معرفة عناصر العالم الخارجي وظواهره وهي أساس تكون انطباعاتنا الأولية عنه، كما كان يرى أن باستطاعة العقل فهم هذا العالم الخارجى من خلال قوانين ومبادئ عقلية نظرية لا تستطيع الحواس تقديمها إليه، ولذلك فقد اختلف عن أفلاطون وكل الفلاسفة العقلانيين حينما أوضح أن للحواس دوراً هاماً لا يمكن اغفاله في معرفتنا بالعالم الخارجي. كما اختلف مع بروتاجوراس وكل الحسيين الذين غالوا في اتجاههم الحسي

فأنكروا أى امكانية لدى العقل في صياغة مقولات نظرية يفسر من خلالها العالم الخارجي بعيداً عن ما تنقله إليه الحواس.

وعموماً فقد توسط أرسطو بين الإتجاهين، حينما قرر أنه على حين تدرك الحواس كل ما هو جزئي، يدرك العقل الماهيات الكلية التي لا يمكن أن تكون موضوعاً للإدراك الحسي.

رابعاً: نظريته في الوجود:

وقد استكمل أرسطو المشروع الميتافيزيقي بنفس الصورة، حيث ألف بين المادة والمثل (أو الصورة بتعبيره)، بنظريته عن الوجود بالقوة والوجود بالفعل، فقد استطاع أن يزيل التناقض بين التيار المادي والتيار المثالي، فلم يوافق أفلاطون على افتراضه أن الحقيقة لا توجد إلا في ذلك العالم المفارق (عالم المثل)، كما لم يوافقه على اقتران الحقيقة بالوجود في عالم المثل، ومن خلال نقده لنظرية المثل الأفلاطونية على أساس عدم فعالية المثل في العالم المحسوس حيث أنها فعالية متخيلة لأن المثل الأفلاطوني ليس علة مباشرة لأى شيء

محسوس، كما أن ماهية أى شيء كامنة فيه وليست مفارقة له
كما أكد أرسطو بنظريته عن التحام الصورة بالمادة فى كل
أشياء هذا العالم الطبيعي، فلا صورة بدون مادة، ولا مادة بدون
صورة، ولا يستثنى من ذلك إلا الإله الذي هو الصورة الخالصة
المفارقة التي لا يشوبها المادة، فإنه أرسطو هو المحرك الذي لا
يتحرك ومن ثم فهو صورة خالصة وعقل خالص لا
يعقل إلا ذاته.

ومن هنا فقد أضفت ميتافيزيقا أرسطو المعقولة على
العالم المحسوس، حيث اعتبر أن من الجواهر ما هو جزئي وما
هو كلي، وأن كل موجود جزئي له صورته الخاصة أى فيها
ماهيته التي هى في المقام الأول ماهية النوع التي تظهر في
جزئياته، ولم يعد هناك حاجة لأن نفترض عالماً مفارقاً توجد
فيه هذه الماهيات أو الصور.

خامساً : فلسفته الأخلاقية:

ولقد انعكست آثار هذه النظرة الأرسطية التي تزوج بين
المحسوس والمعقول في المعرفة والعلم، بين المادة والصورة

فى فلسفة الطبيعة والميتافيزيقية، انعكست على مذهبه الأخلاقى والسياسى، حيث تبني أرسطو نظرية أخلاقية تزوج بين الواقع والمثال، فقد دعى إلى نوعين رئيسيين من الفضائل، الفضيلة الأخلاقية، والفضيلة النظرية.

أما الأولى فقد استند فيها على نظريته الشهيرة فى "الوسط الأخلاقى" حيث عرف فيها الفضيلة أنها الحد الوسط بين طرفين كلاهما مردول؛ فالشجاعة حد وسط بين رذيلتين هما الجبن والتهور، والكرم حد وسط بين رذيلتين هما الإسراف والتقتير .. إلخ. وهكذا يكون الإنسان فاضلاً حينما تتمو لديه ملكة الاختيار التى بفضلها يكتسب ذلك التحسن فى سلوكه بفضل اختيار دائم لطريق الفضيلة الذى هو غالباً فى ذلك الحد الوسط. ولم ينس أرسطو فى إطار تمحيصه لنظريته فى الفضيلة الأخلاقية أن يوضح أن ذلك الوسط ليس حسابياً. فالفضيلة ليست بالضبط على مسافة متساوية بين الطرفين المردولين، فهذا الوسط نسبى، فالشجاعة مثلاً تكون بالنسبة للجان ميل نحو التهور، إذ لن يكتسب الجبان فضيلة الشجاعة إلا بالاتجاه نحو التهور وهو لن يصبح متهوراً بالطبع، لكنه فى

هذه الحالة سيكون شجاعاً ويتخلص من جنبه وهى بالنسبة للمتهور على العكس من ذلك حيث تكون بالحد من تهوره واتجاهه نحو الجبن.

وهكذا يكون اكتساب الفضيلة بمحاولة التوسط بين الطرفين إذا كان المرء بطبيعته وفطرته معتدلاً، أما إذا كان بطبيعته وفطرته يميل إلى أحد الطرفين فيكون اكتسابه للفضيلة كحد وسط بالاتجاه نحو الطرف الآخر.

وقد نبه أرسطو إلى قضية أخرى - أعفته من كثير من الانتقادات التى وجهت إليه عن جهل بما كتب - حيث أوضح أن من الفضائل الأخلاقية ما لا يمكن أن تكون حد أوسط بين الطرفين؛ فالصدق مثلاً ليس إلا ضد الكذب، وكذلك فإن من الرذائل ما لا يمكن أن تكون أطرافاً لفضائل، فالقتل والزنى والسرقة هى رذائل على طول الخط وهى بطبيعتها المردولة لا يمكن أن تكون طرفاً لإحدى الفضائل.

وعلى أى حال، فإن نظرية أرسطو فى الفضيلة الأخلاقية تمثل الجانب الواقعي من نظريته الأخلاقية عامة، فقد كانت نتيجة لتحليلاته لما شاع بين الناس عن الفضيلة والشخص

الفاضل، حيث انتهى إلى وضع ضوابط للفضيلة تمثلت في نظريته السابقة عن "الوسط الأخلاقي". أما شروط الفعل الفاضل فقد تبلورت لديه حينما تساءل: هل كل من يقال عنه أنه فاضل يعد فاضلاً حقاً؟!

وكانت إجابته: أنه لا يمكن أن نعد كل من سلك طريق الفضيلة فاضلاً، إذ من الممكن - كما يؤكد فيلسوفنا - أن يسلك الإنسان طريق الفضيلة مصادفة ودون دراية أو علم. والفضيلة كما يراها أرسطو ليست مجرد سلوك عشوائي، بل أن الشخص الفاضل لا يكون كذلك إلا إذا تضافر لديه السلوك مع العلم، العلم بمعنى الفضيلة ومعرفة ماهيتها، فليس فاضلاً من يسلك طريق الفضيلة دون أن يعرف نظرياً ماذا تعنى الفضيلة.

وكذلك من شروط الفعل الفاضل أن يمارسه صاحبه باستمرار، فلا يكون سلوكه طريق الفضيلة صدفة لا تتكرر، فالعالم بمعنى الفضيلة يختار دائماً طريقها فيكتسب سلوكه هذا استمرارية لا تتوقف. ولا يكون الفاضل فاضلاً - كذلك - إلا إذا أراد واختار عن وعي طريق الفضيلة، فالإرادة والاختيار شرطان ضروريان نحو سلوك طريق الفضيلة. أما الاختيار فهو

اختيار عاقل وواعي وترشيد لتلك الإرادة الغريزية، ومن هنا كانت الفضيلة الأخلاقية عند أرسطو^٥ متمثلة في تحكم العقل في الشهوة، فهي فضيلة أساسها الاختيار العقلي لذلك "الحد الوسط" ثم سلوك طريقه باستمرار.

ولكن إذا ما سألنا أرسطو عن أعظم الفضائل في رأيه، فهي لن تكون إحدى الفضائل الأخلاقية، فرغم أهمية الصداقة والعدالة والصدق والعفة والكرم والشجاعة في حياة الناس والمجتمع المدني إذ لا تتصور الحياة الاجتماعية بدونها، إلا أن أعظم الفضائل في اعتقاده هي "فضيلة التأمل النظري"، لأنها تمثل فضيلة العقل الإنساني بما هو كذلك، فإن كانت الفضيلة الأخلاقية في كل صورها تمثل - كما أوضحنا - تحكم العقل في الشهوة، فإن هذه الفضيلة النظرية هي فضيلة العقل بما هو عقل بعيداً عن رغبات الجسد والتحكم فيها.

ولقد أجهد أرسطو نفسه في تقديم حججه وبراهينه على أهمية الفضيلة النظرية وسمو مكانتها حيث أوضح أن العقل هو ما يميز الإنسان عن الحيوان. وإن كان الإنسان هو الحيوان

الوحيد الأخلاقي بما يملكه من عقل يستطيع التحكم في الشهوة وكبح رغبات الجسم وتنظيمها، إلا أن هذه الأخلاقية تكون ناقصة إن لم يكن للعقل فضيلته الخاصة - التي تعبر عن قيامه بوظيفته على الوجه الأكمل - وذلك الفضيلة هي بالطبع "التأمل النظري الخالص". ولا شك لدى أرسطو في أن التأمل النظري هو أهم أفعال العقل حيث فيه يتشبه الإنسان بالإله، فالإنسان حينما يمارس التأمل إنما يمارس فعلاً إلهياً، فالإله الأرسطي كائن متأمل لكنه لا يتأمل إلا ذاته.

وقد فضل أرسطو "التأمل" واعتبره أسمى الفضائل لأن موضوعه أسمى موضوع ممكن للمعرفة الإنسانية، أنه تأمل الماهيات واستخلاصها من عالم الأشياء من جهة، وتأمل ماهية الإله من جهة أخرى، فلولا قدرة الإنسان على التأمل النظري المجرد ما عرف الإله. هذا فضلاً عن أننا بالتأمل - في رأى أرسطو - نحقق فعل التفلسف ونصبح على وعي بالعالم وبماهية الأشياء ونعرف الوجود الإلهي، فالفلسفة هي العلم الأسمى والأرقى والأفضل.

وهكذا استطاع أرسطو أن ينقلنا من الفضيلة الأخلاقية التي نعيش بمقتضاها وسط المجتمع والناس باعتبارها لامتارس إلا بينهم - معهم وبهم - ولذلك كانت مكانتها أقل في رأيه؛ لأنه لو لم يكن المجتمع والناس لما أصبح الشجاع شجاعاً، ولما أصبح الكريم كريماً، فهي فضائل لا يتحقق بمقتضاها للإنسان الحرية والإستقلال، على حين أن الإنسان في الفضيلة النظرية يحقق أسمى قدر من الإستقلال والحرية حينما يمارس فعل التأمل.

استطاع أرسطو أن ينقلنا من ذلك النوع الأخلاقي للفضيلة إلى ما جعله أسمى مكانة وأرفع منزلة، إلى الفضيلة النظرية التي يتحقق بمقتضاها ماهية الإنسان والغاية من وجوده، وتحقق له الإستقلال عن المجتمع والناس، والخلو إلى عقله الواعي فقط فيصبح حراً طليقاً، يرتفع إلى آفاق أرحب، يتشبه بالإله، ويحقق الخلود.

وهكذا امتزجت التحليلات الواقعية بالمثال الأخلاقي عند فيلسوفنا، فأصبح كما يقولون أكثر تطرفاً من أستاذه أفلاطون، فإذا كان الأخير قد قال بأن الخير الأقصى للإنسان هو مزيج

من حياة اللذة الحسية وحياة التأمل العقلى على أن يكون للتأمل الأولوية والغلبة على حياة اللذة، فإن أرسطو فرق تماماً بين حياة التأمل النظري وحياة العمل، واعتبر أن الخير الأقصى للإنسان هو أن يعيش وفقاً لأسمى قواه العاقلة، قوة التأمل النظري الخالص، فهو حينذاك سيحقق في اعتقاده أعظم درجات اللذة والإستقلال.

سادساً: فلسفته السياسية:

وعلى نفس النمط، كانت فلسفة أرسطو السياسية؛ حيث حاول كذلك التوفيق بين الواقع والمثال، بين محاولة رصد الواقع السياسي وإصلاح ما يمكن إصلاحه فيه، وبين رسم معالم مدينة فاضلة مثالية كانت أكثر استحالة للتطبيق من مدينة أفلاطون المثالية إذا ما وضعنا في الإعتبار خريطة الواقع السياسي الذي عاشه أرسطو ولم يراه أفلاطون، فقد عاش عصر الإمبراطورية المقدونية في حين لم يكن أستاذه قد رأى أكثر من نظام دولة المدنية.

لقد بدأ أرسطو تحليلاته السياسية من الواقع السياسي حيث قام بمعاونة تلاميذه بجمع أكثر من مائة وخمسين دستوراً ضمنها كتابه "الدساتير" أو "النظم السياسية" وقد ساعده ذلك على التحليل الصحيح لأحوال الدول والحكومات وتقديم نظريات سياسية بارعة في ذلك العصر كان أكثرها اشراقاً تمييزه بين الدولة والحكومة؛ فالدولة هي مجموع المواطنين بينما الحكومة هي مجرد هيئة من هيئات الدولة الثلاث. ومن ثم اكتشف أرسطو فكرة سلطات الدولة وضرورة الفصل بينها، "ففي كل دولة ثلاثة أجزاء إذا كان الشارع حكيماً اشتغل بها فوق كل شيء ونظم شئونها ومتى أحسن تنظيم هذه الأجزاء الثلاثة حسن نظام الدولة كلها بالضرورة، ولا تختلف الدول في حقيقة الأمر إلا باختلاف هذه العناصر الثلاثة، الأول من هذه الأمور هو الجمعية العمومية التي تتداول في الشئون العامة، والثاني هو هيئة الحكام التي يلزم تنظيم طبيعتها واختصاصاتها وطريقة التعيين فيها، والثالث هو الهيئة القضائية".

أما الجمعية العمومية (السلطة التشريعية) فهي تتكون من مجموع المواطنين، فهي "تقرر على وجه السيادة السلام والحرب، وعقد المعاهدات وحلها، وتصدر أحكام الإعدام والنفي

والمصادرة وتتنظر في محاسبة الحكام" "وبحت الحسابات العمومية للدولة" ولا أظن أن مهام السلطة التشريعية في الديمقراطيات الحديثة تخرج عن هذه المهام الخطيرة التي حددها أرسطو، ويكمن الفرق بين تلك النظم الحديثة ونظامه في أن السلطة التشريعية لديه تتكون من مجموع المواطنين بينما الديمقراطيات الحديثة تأخذ بالنظام النيابي فتكتفى في الجمعية التشريعية بممثلين عن المواطنين، وقد اعتبر أرسطو تلك السلطة هي "السيد الحق للدولة"، فهي لديه كما في الديمقراطيات الحديثة سيدة كل السلطات.

أما السلطة التنفيذية، فقد اكتفى أرسطو ببيان مهامها العامة، فهي تتولى تنفيذ مشروعات الدولة وتكون في خدمة المواطنين، ومنها تتكون كل إدارات الدولة المختلفة، ثم آثار العبد من التساؤلات حول تلك الإدارات ومن يكونون أعضاؤها، وإلى أي مدة يجب أن يتولى الموظف مهام إدارته؟! وما هي الضوابط التي يجب أن توضع لأداء هذه المهام على الوجه الأكمل؟!.

والإجابة على هذه التساؤلات تختلف باختلاف الدول، فما يجوز بالنسبة لدولة صغيرة قد لا يجدي مع دولة كبيرة، وما ينفع في ظل نظام سياسى معين قد لا ينفع فى ظل نظام آخر.

أما بالنسبة للسلطة القضائية، فقد شغله الحديث عن الأنواع المختلفة للمحاكم والاختصاصات الموكلة إلى كل منها، وطريقة تأليفها، وتعيين القضاة. وقد أوضح فى حديثه عن كل ذلك الفروق الدقيقة بين ما يتم في ظل الدساتير المختلفة للدول.

ولقد قدم أرسطو نظرية فى الإقتصاد السياسى حينما قدم أول صورة للربط بين الإقتصاد والسياسة؛ ففى إطار تمييزه بين الملكية الطبيعية والملكية غير الطبيعية قدم نظرية فى كسب الأموال وضرورة التمييز بين الطرائق المختلفة للكسب، فالزراعة والرعي والصيد هى وسائل طبيعية للكسب، بينما التجارة ليست كذلك، فاستخدام النقد فيها بديلاً عن المقابضة جعلها نظاماً احتكارياً يجمع من ورائه التجار أموالاً طائلة دون جهد. وقد تطورت هذه النظرية بعد ذلك وشكلت علماً مستقلاً على يد ابن خلدون وفيلسوفنا الإسلامى، وأصبح لها اليد الطولى فى النظريات السياسية الحديثة خاصة فى الفلسفة الماركسية.

ولقد انفرد أرسطو دون سابقه ومعظم اللاحقين عليه حتى يومنا هذا بنظريته عن "الثورات السياسية"، وأعطاهها من الأهمية بحيث خصص لها الكتاب الثامن من "السياسة" بأكمله، حيث قدم تحليلاً مسهباً للأسباب العامة للثورات مميّزاً بين الأسباب السياسية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية؛ فمن الأسباب السياسية، مخالفة الحكومة للمبدأ السياسي الذي قامت عليه وخروجها عنه، فإن كانت الحكومة ديمقراطية وسلبت من المواطنين حريتهم والمساواة بينهم ثار المواطنون عليها. ومن الأسباب النفسية - الاجتماعية الرغبة في المساواة إن كان السائد حكومة طغيان أو أرسطراطية، والرغبة في اللامساواة إن كان السائد حكماً ديمقراطياً حيث يثور الأرسطراطيون بحجة أنهم لا يحصلون على مميزاتهم وحقوقهم كاملة في ظلها. وهكذا فقد يكون طلب المساواة أو المطالبة باللامساواة أحد أسباب الثورات. كما قد يكون الطمع في الحصول على الثروات روي مراتب الشرف أحد أسباب الثورات. ولقد أدرك أرسطو كذلك أن عدم انصهار السلالات داخل الدولة الواحدة قد يكون سبباً دائماً للقلق والإضطرابات والثورات، كما لم يغفل في تحليلاته بيان علل الثورات في كل نظام سياسي على حدة، فأسباب

الثورة في ظل حكومة الديمقراطية تختلف عنها في ظل
الأوليغاركية (حكومة الأغنياء الطامعين)، أو في ظل
الارستقراطية أو الملكية ... إلخ.

وكما كشف أرسطو عن العلل المختلفة للثورات تحدث
عن كيفية تلافي وقوعها بالنسبة للحكومات وأوضح وسائل
الحفظ للحكومات المختلفة، والتي يمكن تلخيصها في ثلاث هي:
احترام الحكومة للمبدأ السياسي الذي قامت عليه، فإن كانت
ملكية فليحافظ الملك على كرامته وكرامة شعبه وأن يكون
شريفاً معتدلاً في ممارسة سلطاته. وإن كانت حكومة ديمقراطية
فليحافظ على مبدأ حرية الأفراد والمساواة بينهم ... إلخ. أما
الوسيلة الثانية فهي احترام القانون من الحكومة في كل صغيرة
وكبيرة من الأمور. أما الثالثة من تلك الوسائل فهي تربية النشء
على المبدأ السياسي للحكومة مما يجعلهم ينشأون على احترام
نظام الحكم بما غرس فيهم منذ الصغر من حب لمبادئه.

وعلى أي حال، فكتاب "السياسة" يزخر بمثل هذه
النظريات السياسية الجديرة بالدراسة والتحليل، ففيه لمس
أرسطو قضايا ومبادئ كثيرة شغلت فلاسفة العقد الاجتماعي

المحدثين، هذا ان تغاضينا عن بعض الهنات التى كان أجدر به أن ينأى عنها خاصة نظريته فى تبرير الرق واعتبار الرقيق هو "الآلة الحية" لربة المنزل، ونظريته العنصرية فى التمييز بين المواطن اليوناني الحر، وبين البرابرة (أي كل ماعدا اليوناني) التي أثبتت فشله فى تطبيق منطقته فى فلسفته السياسية، فالتعريف المنطقي للإنسان لديه أنه ذلك الحيوان العاقل المفكر، ونظريته العنصرية فى الرق أوضحت أنه يؤمن بأن من الإنسان من لا يصلح إلا للرق والعبودية وليس مؤهلاً إلا لأعمال اليدوية الحقيرة، وفي هذا تناقض مع تعريفه المنطقي للإنسان.

وإذا ما غادرنا مع ارسطو الواقع وانطلقنا إلى المثال، وجدناه يتصور على غرار أستاذه مدينة فاضلة يتوافر فيها مجموعة من الشروط وأهمها؛ أن تكون في موقع استراتيجي بحيث تكون سهلة المدخل والمخرج لمواطنيها، صعبة المدخل والمخرج على الأعداء. وتكون لها قاعدة بحرية تستغل بأقصى الطاقة في التجارة والدفاع. أما مساحة هذه المدينة فلا ينبغي أن تزيد على مقدار ما يراه فرد من فوق ربوة عالية من الجهات

الأربع بشرط أن تكون مساحة خصبة يمتلك كل مواطن جزء منها داخل المدينة وآخر على حدودها حتى يهب الجميع للدفاع عنها ضد أي هجوم خارجي.

أما عدد سكان هذه المدينة فينبغي أن يتوافق مع سعتها، فالجميل كما يقول أرسطو "ينبج عادة من توافق العدد والسعة، والكمال للدولة يكون بالضرورة بأن يجمع في رقعة كافية عدد مناسب لها من المواطنين"، وبالطبع فإن هذا العدد يكون من المواطنين الأحرار، والمواطن هو من يحمل السلاح ويكون له حق التصويت في الجمعية العمومية. ويحدد أرسطو كذلك العناصر الضرورية لوجود المدينة بأنها ستة عناصر هي: المواد الغذائية، الفنون، الأسلحة، المالية، الكهنوت وأخيراً إدارة المصالح العامة وإصدار الأحكام. أما أهم هذه العناصر فهي الحكومة الفاضلة التي يحددها تحديداً أخلاقياً حيث يرى أنها "تلك التي تحقق لكتلة المواطنين أوسع نصيب من السعادة. فالسعادة لا تنفك عن الفضيلة". فالهيئة السياسية إذن موزعة على جزئين أساسيين، الأول: الجند، والثاني: الجمعية العمومية المكونة من كل المواطنين الأحرار.

ويهتم أرسطو فى نظام المدينة الفاضلة اهتماما خاصا بالتربية إذ ينبغي بداية الإهتمام بأمر التناسل والزواج بتحديد سن الزوجين بحيث تتجنب المدينة الزواج المبكر أكثر مما ينبغي وقد عين سن الزواج "بثمانى عشرة سنة للنساء وبسبع وثلاثين أو أقل للرجال، وفى هذه الحدود يكون وقت الزواج بالضبط هو وقت تمام القوة، ويكون للزوجين الوقت المناسب للنسل حتى تنزع الطبيعة منهما القدرة على النسل".

كما رأى ضرورة الإهتمام بالأمهات طوال مدة الحمل بالتزام نظام غذائى معين ويجانبين الكسل. ويحذر أرسطو من الخيانة الزوجية ويطلب تشديد عقوبتها باعتبار أنها تضر بالنسل. وهنا يختلف أرسطو تماما عن أستاذه؛ فهو يقرر ضرورة الزواج للحفاظ على النسل وقوته وتربية الأطفال فى ظل الأسرة، أما أفلاطون فكان يؤمن كما نعلم بشيوعية النساء ورفض نظام الأسرة فى مدينته الفاضلة حتى يجنبها أسباب الصراع بين الحكام. ولقد اشترط أرسطو نظاماً غذائياً معيناً للطفل، ونبه إلى ضرورة الحذر من الأقوال العاجزة والصور المنافية للأداب أمام الطفل. وهو يقسم التربية للأطفال إلى عهدين متميزين؛ الأول من السابعة إلى البلوغ، والثانى منذ البلوغ إلى سن الحادية والعشرين.

أما موضوعات التربية فيجب أن تكون عامة وإن كان هناك خلاف حول المسائل التي يجب أن تشملها التربية إلا أن الإجماع واقع على الغاية التي يجب أن تتوخاها الدولة من التربية. وعلى أى حال فإن هذه الموضوعات ننعلق بالأداب والرياضة والموسيقى والرسم.

وإذا ما نظرنا فى مكونات هذه المدينة الفاضلة لأرسطو وجدناها فى كثير من جوانبها قريبة الشبه من مدينة أفلاطون اللهم إلا فى إقرار أرسطو لنظام الأسرة واعتباره أحد الأسس فيها. وقد صدق جورج سباين اذ يقول: "أن ما يسمبه أرسطو بالدولة المثالية هو ما اعتبره أفلاطون الدولة الثانية فى ترتيب أفضل الدول" ومن ثم فقد كانت مدينة أرسطو المثالية ماهية خالية من الحيوية خاصة وأنها جاءت فى عصر لم يعد يحتملها. فلم يكن يصح أن يظل أرسطو يحلم بمدينة فاضلة بهذا الموقع وتلك المساحة وهذا العدد المحدود من السكان فى عصر الإمبراطورية المقدونية، فقد فات أوان عصر دولة المدينة الواحدة إذ لم يكن فى مقدورها أن تدافع عن نفسها مهما أوتيت من قوة أمام امبراطورية كامبراطورية تلميذه الإسكندر.

و على أى حال فليس الموضوع، موضع نقد ارسطو بفدر ما هو النظر فى كيفية محاولته دائما التوفيق بين الواقع والمثال، المحسوس والمعقول. وهو ان كان قد نجح فى ذلك فى نظريته فى المعرفة والعلم، وكذلك فى الميافيزيقا، ونجح جزئيا فى الأخلاق إلا أنه فشل فى ذلك فى السياسة، وبدا أن نجاحه كان مقصورا فقط على تلك الأجزاء الواقعية والنظريات التى استقاها من الواقع الحى أمامه، ومن استشراف افاق ارحب لهذا الواقع ومحاولة رتق بعض عيوبه ونقائصه من خلال نظرياته التى أشرنا إليها عن الحكومة والثورة وانايج الثروة والفصل بين السلطات فى الدولة.

ان محاولة ارسطو الدمج بين الواقع والمثال فى فلسفته السياسية - رغم فشله النسبى فيها - كان لها ما يبررها لديه حيث كان يود أن يتوج محاولاته الأخرى فى المنطق وشتى أقسام الفلسفة بهذه المحاولة فى فلسفته السياسية حتى يطل بحق هو الإستكمال الحقيقى للمشروع الحضارى اليونانى، إذ أفرغت الحضارة اليونانية لديه كل عناصرها، وكان عليه كما قلنا أن يوائم بين تلك العناصر.

وقد شهد التاريخ اللاحق عليه بنجاحه منقطع النظر في ذلك، فقد كان بشهادة معظم المؤرخين ذروة الفلسفة والعلم اليونانيين، كما هو ذروة التنظير للآداب والفنون اليونانية.

وعلى أى حال، فقد كان لهذا النجاح الأرسطي أضراره على من جاءوا بعده حيث ظل الجميع تقريباً أسرى لمنطقه وفلسفته طوال العصر الروماني والعصور الوسطى مسيحية وإسلامية. وإن كان المؤرخ المنصف والموضوعي يدرك أن تلك الأضرار التي سببها جمود الفلاسفة والعلماء عند آراء أرسطو ليس له أى ذنب فيها، فمنطقه وفلسفته كانا استكمالاً للفلسفة اليونانية، ولم يتصور مطلقاً أنهما سيمثلان نهاية المطاف لقرون تعدت العشرين قرناً من بعده، كما لم يفصد إلى ذلك في مؤلفاته.

أهم المصادر والمراجع للفصول من الثاني حتى السادس

يمكن للفارئ الإسراده والإسنادة في موضوعات هذه الفصول من
بعض المراجع التالية:

- ١ - أ.د. أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، دار النفاة للنشر
والوريع، القاهرة، دون تاريخ.
- ٢ - برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الجزء الأول ترجمه
د. زكي نجيب محمود، مطبعة لحنه النألف والنرجه والنشر،
القاهره ١٩٦٧ م.
- ٣ - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة البوباسة، مطبعة لحنه النألف والنرجه
والنشر، ط.٣، القاهرة ١٩٥٣ م.
- ٤ - د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي ح١، ح٢، دار
الجامعات المصرية بالإسكندرية، ط٤، ١٩٧٢ م.
- ٥ - ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق، ترجمه عبد الحميد سلجم، الهيئه
المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥ م.

- ٦ - الفريد ادوارد تيلور: سفر اوط، نررمة محمد بكر طبل، مرارعة د.
زكي نرطب محمود، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٦٢ م.
- ٧ - كوراميس: سقراط الررل الذي ررو على السؤال، نررمة محمود
محمود، مكتبة الأنطو المصرية، بالقاهرة ١٩٥٦ م.
- ٨ - أوحست دبيس: أفلاطون، تعريب محمد إسماعيل، دار الكتب
المصرية بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ٩ - د. عبد الرحمن بدوى: أفلاطون، مكتبة النهضة المصرية،
القاهرة ١٩٤٣ م.
- ١٠- د. مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة
الإسلامية والغربية، مكتبة الأنطو المصرية بالقاهرة،
ط٣، ١٩٩٧ م.
- ١١- د. مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف
بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٥ م.
- ١٢ - د. مصطفى النشار: نظرية العلم الأرسطية، دار المعارف بالقاهرة،
الطبعة النابعة ١٩٩٥ م.

- ١٣- محاوره "الجمهوريه" لأفلاطون، الترجمه العربيه للدكتور/ فؤاد
ركربا، الهبئه المصريه العامه للكتاب بالقاهره، ١٩٧٤م.
- ١٤- محاورات أفلاطون، ترجمه د. ركي نجيب محمود، مطبعه لحيه
الباليف والترجمه والنشر، القاهره، ١٩٣٧ م.
- ١٥- مؤلفات أرسطو المختلفه بنرحمائها العربيه العديده.
- ١٦- د. أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفه اليونانيه قبل سقراط، دار احياء
الكب العربيه، القاهره ١٩٥٤ م.
- ١٧- جورج سبابن : نظور الفكر السياسى، ترجمه حسن جلال العروسى
مراجعه وتقدم د. عثمان حليل، دار المعارف، القاهره ١٩٧١م.
- ١٨- ارنست باركر : النظريه السياسيه عند اليونان، جزءان ترجمه لوبس
اسكندر ومراجعه د. محمد سليم سالم، سلسله الألف كتاب (٥٦٦)،
مؤسسه سجل العرب، القاهره ١٩٦٦م.
- ١٩- د. مصطفى الخشاب: تاريخ الفلسفه والنظريات السياسيه، مطبعه
لجنة البيان العربى، القاهره ١٩٥٣م.

- 20- Gomperz: Greek Thinkers trans. by G.G Berry,
London, John Morray, 1939.
- 21- Zeller (E): Outlines of History of Greek Philosophy,
Meridian Books, New York, 1955.
- 22- Taylor (A.E): Plato - the man and his works, Meridian
Books, New York, 1957.
- 23- Allan (D.J.): The Philosophy of Aristotle, University
Press, London, 1952.
- 24- Cornford (F.M.): Before and After Socrates,
Cambridge, 1974.

الفصل السابع

**الفكر اليوناني في العصر
الهلينستي**

الفكر اليوناني في العصر الهلينيستي

أولاً : تعريف العصر الهلينيستي:

يميز المؤرخون للفلسفة اليونانية عادة بين حقبتين أو عصرين هما: العصر الهليني والعصر الهلينيستي؛ أما الحقبة الهلينية فهي التي تبدأ تاريخياً منذ القرن السادس قبل الميلاد تقريباً وتمتد حتى وفاة الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق.م، وأما على الصعيد الفلسفي فهي تمتد منذ ظهور الفلسفة في اليونان على يد طاليس في أوائل القرن السادس قبل الميلاد وحتى وفاة أرسطو التي حدثت بعد وفاة الإسكندر الأكبر بعام واحد أي في عام ٣٢٢ ق.م.

أما الحقبة الهلينيستية فهي التي أعقبت وفاة الإسكندر ومن بعده أرسطو وتمتد لثلاثة قرون تالية وإن كانت في الواقع تمتد إلى أبعد من ذلك حيث أنها ستظل ممتدة إلى ظهور الفلسفة المسيحية التي يبدأ منها ما نسميه بالعصر الوسيط في الفلسفة الغربية. وقد أصبحت الفلسفة اليونانية والثقافة اليونانية في هذه الفترة الطويلة التي امتدت حوالي ستة قرون هي الثقافة الشائعة

فى جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط؛ فمنذ وفاة الإسكندر وحتى الفتح الرومانى انتشرت هذه الثقافة رويداً رويداً، ابتداءً من مصر وسوريا ووصولاً إلى روما وأسبانيا، وفرضت نفسها فى الأوساط اليهودية المستتيرة كما فى أوساط الأعيان الرومان وكانت أداة هذه الثقافة هى الفونية وهى اللهجة الدارجة من اللغة اليونانية.

ولقد شهد هذا العصر من التاريخ اليونانى على الصعيد السياسى صراعاً نشب بين ورتة الإسكندر وخاصة بين ملوك مقدونيا والبطالمة. ولم يكن أمام المدن اليونانية وحلفائها إلا الاستناد إلى إحدى هاتين القوتين المتصارعتين لتتفادى الوقوع تحت هيمنة القوة الأخرى وكانت قوانين هذه المدن وداستيرها تتبدل بتغير من يتولى الحكم فيها. ولقد تمثلت هذه الظروف أكثر ما تمثلت فى مدينة أثينا التى ظلت الموطن الرئيسى للمدارس الفلسفية اليونانية وإن نافستها بعد قليل مدينتي الإسكندرية ثم روما.

ثانياً: خصائص الفكر اليوناني في عصره الثاني (العصر الهلنستي):

وعلى أى حال، فلقد تميزت هذه الحقبة الهلنستية بسمات عامة اختلطت فيها الخصائص الفكرية بالمؤثرات السياسية والمستجدات على الصعيدين الإجتماعي والإقتصادي. ونستطيع أن نحصر أهم هذه السمات أو الخصائص فيما يلي:

١ - الإمتزاج بين الفكر اليوناني والفكر الشرقي:

لقد اعتبر بعض المؤرخين أن هذه الحقبة من أهم الحقب فى تاريخ الحضارة الغربية لما حدث فيها من امتزاج بين الحضارة الغربية اليونانية الغازية، وبين الحضارات الشرقية الآفلة. فلقد كان التأثير متبادلاً بين الحضارتين الغربية والشرقية؛ فكما أن التأثير اليوناني قد امتد حتى الشرق الأقصى، كذلك انفتح الغرب اليوناني ابتداء من حملات الإسكندر لتأثير الشرق الأوسط والشرق الأقصى.

ولعل الملاحظة الهامة التي يجدر أن نلاحظها هنا هي أنه على الرغم من أن الإسكندر الأكبر قد استهدف من فتوحاته التي امتدت من شواطئ البحر الأبيض المتوسط حتى تخوم الصين

والهند أن بنشر الفكر اليونانى وينقل حضارته الهلينية اليونانية إلى العالم الشرقى لنصبح هي النموذج الذي يتشكل به أبناء الشرق، على الرغم من ذلك فقد حدث العكس تقريباً حيث مالبت أن نشر الشرقيون معتقداتهم الفكرية والدينية والأخلاقية بين اليونانيين سواء أولئك الذين انتقلوا واستوطنوا بلاد الشرق أو أولئك الذين ظلوا قابعين في بلاد اليونان.

والناظر إلى التاريخ الفكري لليونان في هذه الفترة يتأكد له ذلك من مجرد استعراض أسماء فلاسفة هذا العصر؛ فعلى الرغم من أن أثينا بقت مركزاً هاماً من مراكز الفلسفة إلى جانب الإسكندرية وروما، إلا أنه لم يكن بين الفلاسفة الجدد - على حد تعبير اميل برييه كبير مؤرخي الفلسفة من المعاصرين - أثيني واحد ولا حتى اغريقي واحد؛ فجميع الفلاسفة الرواقيين المعروفين في القرن الثالث قبل الميلاد كانوا من الأغراب والدخلاء وقد قدموا من الأمصار في أطراف الحضارة اليونانية وعند تخومها وهي أمصار غير معنية بالتراث اليوناني ومتأثرة بمؤثرات أخرى غير المؤثرات الهلينية، فقد كان هؤلاء الفلاسفة جميعاً من أصول شرقية

فزينون مؤسس الرواقية - وهي أكبر المدارس الفلسفية فيما بعد
 أرسطو - من كتيوم إحدى المدن القبرصية، وهي أيضاً المدينة
 التي أنجبت تلميذه برسيوس، كما أن كريسبوس المؤسس الثاني
 للرواقية كان من مواليد مدينة طرسوس هو وتلاثة من تلاميذه
 من الرواقيين. ومن بلدان شرقية سامية قحة - بتعبير بريه -
 أتى هيرلوس القرطاجي تلميذ زينون، وبؤتيوس الصيدوني تلميذ
 كريسبوس وغيرهم من الرواقيين.

وعلى ذلك يتضح لنا أن ما أراده الإسكندر من سيادة
 للثقافة اليونانية على الشرق لم يتحقق، بل تحقق العكس تماماً اذ
 يبدو أن الثقافة الشرقية هي التي غزت بلاد اليونان وأصبح
 أشهر فلاسفة أثينا - وهم الرواقيون في ذلك الوقت - هم من
 أتوا من بلاد الشرق يحملون ثقافة مختلفة وعقائد فكرية ودينية
 مختلفة، فكان من الطبيعي أن تتميز فلسفاتهم بهذا المزج الفريد
 بين تراثهم الشرقي والثقافة اليونانية، بين الحضارة والفكر
 الشرقي من جهة وبين الحضارة والفكر اليوناني من
 جهة أخرى.

٢- الإزدهار العلمي وبداية انفصال العلوم عن الفلسفة:

لقد شهد هذا العصر وخاصة في بدايته في القرن الثالث قبل الميلاد نهضة علمية ملحوظة على يد علماء ظهوروا في الإسكندرية وبلاد اليونان. فقد ازدهرت العلوم الرياضية وخاصة علم الهندسة على يد أفقليدس صاحب كتاب " المبادئ" الذي استطاع أن يقدم فيه الرياضيات بمعناها البحث حيث وضع الهندسة علما استنباطياً. وكان من أبرع رياضي الإسكندرية أيضاً أبو لونيوس السكندري الذي اخترع نظرية القطاعات المخروطية وكذلك ظهر أرشميدس الذي كان رياضياً فذا ومهندساً بارعاً وفيزيائياً بارزاً، ولكم ساعدت كشوفه واختراعاته في حماية مدينته الأصلية سيرا قوصه من أن تجتاحها جيوش الرومان.

وقد شهد هذا العصر أيضاً أعظم انجاز في ميدان الفلك وهو كشف نظرية مركزية الشمس التي أعلنها أريستارخوس الساموسي ودافع عنها لكن لم يكتب لها النجاح والإستمرار لما لاقته من هجوم من فلاسفة الرواقية وخاصة كليانثس الذي اتهم

صاحبها بالضلال لمخالفة الآراء المتعارف عليها عن مركزية الأرض في ذلك العصر وارتباطها بالمعتقدات الدينية والأخلاقية عند اليونانيين.

وعلى أى حال، فلقد شهد هذا القرن الثالث قبل الميلاد انجازات هامة في ميادين العلوم المختلفة، فقد تطورت فيه العلوم الرياضية وتطورت بمحاذاتها علوم الملاحظة التجريبية، والنقد الفيلولوجي في متحف الإسكندرية الذي كان أمين خزانة الكتب فيه أراتوستين الجغرافي الشهير.

٣- ظهور الإمبراطورية الرومانية وسيادة القيم السلبية:

ان التقدم العلمي الذي تحدثنا عنه فيما سبق لم يكتب له الأثر ولا الإستمرار منذ ظهور روما على مسرح السياسة في القرن الأول الميلادي وماواكب ذلك من عدم استقرار سياسي حيث تحولت روما إلى إمبراطورية مستعمرة لبلاد اليونان وأسيا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وأدى طغيان قياصرتها إلى الحكم على الحركة الفكرية بالعزلة والإنكماش فانخفض مستوى التفكير الفلسفي والعلمي بعد القرن الأول الميلادي إلى

حد لم يسمح بأى تفتح أو إزدهار فتحت وطأة النظام الإستعماري والعبودية التى فرضت على معظم السكان فى البلاد المستعمرة لم يعد لأهلها ما للطبقة الحاكمة فى روما من إمتيازات، كما سلبت حقوق فئات كثيرة من الأحرار، أما عدد العبيد فقد تضاعف عما كان عليه فى الحضارة اليونانية إلى أبعد الحدود.

وعلى ذلك لم يكن عجباً أن تتهار القيم الإيجابية وتضيع الحرية، ويصبح الأبتعاد عن المشاركة فى الحياة السياسية والبعد عن الواقع بكل ما فيه من قيم هذا العصر التى شاعت بين الناس حيث أنتشرت السلبية واللامبالاه.

وقد أدى كل ذلك إلى ندرة الإبداع والإبتكار وشاعت موجة من تقليد القدماء فانتسبت المدارس الفلسفية حتى الكبرى منها إلى أحد القدماء، فقد انتسبت الأبيقوريه إلى ديمقريطس، والرواقبة إلى هيراقليطس، كما انتسبت المدارس السقراطية إلى سقراط رغم اختلاف مبادئ هذه المدارس بمادعت إليه من لذة مفرطة، أو زهد تام عن مبادئ سقراط الأخلاقية الإيجابية المعتدلة.

ولقد انتشرت فى هذا العصر موجة من الشك عبر عنها الفلاسفة الشكاك من أتباع الأكاديمية فيما عرف بالأكاديمية الجديدة التى بعث الشك فيها أركاسيلاس وكارنيادس، كما ظهرت مدارس شكية أخرى تتبع طريقة بيرون اللأدرية وكان من أعلام الشك أنذاك أباسيديموس وأجريبيا.

وواكب هذه الموجة الشكية التى لاتزدهر إلا فى عصر يسوده السلبية واللامبالاة، دعوة فلاسفة الرواقية خاصة من المتأخرين إلى الإستسلام للواقع بما فيه من عبودية وتمايز بين الطبقات، فى إطار ما أسموه بالخضوع للعدر والعيش وفقاً للطبيعة، وضاعت المبادئ السامية التى دعوا إليها مثل الأخوة العالمية والمحبة بين البشر وسط هذه الدعوة إلى الخضوع والإستسلام.

إن إكبر المدارس الفلسفية فى العصر الهلينستى كانت الأبيقورية، والرواقية، وقد تمثلت لديهم هذه الأفكار الإنسحابية تماماً، فأخلاق الأبيقورية قامت على فكرتين محورييتين هما الدعوة إلى حياة اللذة باعتبارها مسألة طبيعية وبديهية فى نظر أبيقور زعيم المدرسة طالماً أن من يمارسها يمارسها باعتدال

وكذلك الدعوة إلى تجنب الآلام والمخاوف النفسية ومن ثم يعيش المرء حالة "الأتراكسيا" بما فيها من سلام للنفس وصفاء للعقل.

أما الأخلاق الرواقية فقد قامت على أساس فكرة "العيش وفقاً للطبيعة" أى وفقاً لقوانين العقل التي ينبغي أن تدرك كنه الطبيعة وتتحد بها، وعلى ذلك كان إيمانهم بضرورة التعاطف مع الآخرين سواء مع الأشياء أو مع البشر، والخضوع التام للقدر خيره وشره حتى يمكن للمرء أن يعيش حياته في سلام وطمأنينة وهدوء داخلي عبروا عنه فيما أسموه حالة "الأباتيا".

ويجدر الإشارة إلى أن هذه المبادئ الأخلاقية عند الرواقيين قد التحمت بالمبادئ الأخلاقية المسيحية؛ فقد ظهرت المسيحية وتأثر قساوستها تأثراً كبيراً بهذه المبادئ الرواقية وقد دلت على ذلك المراسلات التي جرت بين سينكا الفيلسوف الرواقي الشهير في القرن الأول الميلادي وبين القديس بولس.

لقد ظلت هذه القيم الأخلاقية السلبية سائدة حتى بداية العصر الوسيط، ولم يحدث التحول الكبير في الأخلاق والدين إلا حينما ظهر الإسلام الذي فتح أمام الناس أفقاً جديدة أدت إلى إيجابية الإنسان عبداً كان أم حراً بدعوته إلى تحرير الأرقاء

والمساواه بين الناس، وقد أدى ذلك إلى بداية مرحلة فكرية جديدة في تاريخ البشرية سادتها القيم الإيجابية وعادت إلى الإنسان فيها روح الإبداع والابتكار في ظل حضارة دعت إلى حرية الإنسان بمختلف صورها، تلك هي الحضارة الإسلامية.

وليس عجباً في ظل ذلك أن نجد فلاسفة الإسلام يصلون ما انقطع من ابداع الحضارة اليونانية، ويعيدون اكتشاف فلاسفة اليونان الكبار خاصة أفلاطون وأرسطو ويحاولون اثبات أنه لاتعارض بين ما آمنوا به من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وبين ما أتى به العقل الإنساني متمثلاً في فلسفتي هذين الفيلسوفين الكبارين، وتلك هي المشكلة الكبرى لفلسفة العصر الوسيط مشكلة التوفيق بين الدين والفلسفة التي أثارها فلاسفة الإسلام الكبار (الكندي - الفارابي - ابن سينا - ابن رشد)، وتأثر بهم وتابعهم في ذلك فلاسفة المسيحية خاصة من المتأخرين أمثال القديس توما الأكويني.

للفصل السابع

يمكن للفارئ أن يستزبد من معرفه حول هذه الفهره السى اكعبها
بتلخيص أهم خصائصها من خلال الإطلاع على بعض هذه المراجع:

١- اميل بربريه : تاريخ الفلسفه - الجزء الثانى - الفلسفه
الهلبسننه والرومايه، ترجمه جورج
طرابسى، دار الطلبعه، بيروت،
١٩٨٢ م.

٢- د. أميره حلمي مطر : الفلسفه عند اليونان، دار النفاذه للنشر
والنوزيع، الفاهره، بدون تاريخ.

٣- البير ريفو : الفلسفه اليونانيه - أصولها ونطورانها،
ترجمه د. عبد الحليم محمود وأبو بكر
ذكرى، مكتبة دار العربيه، الفاهره، بدون
تاريخ.

٤- د. عبد الرحمن بدوي : خريف الفكر اليوناني، الفاهره، مكتبة
النهضة المصريه، ط (٤)، ١٩٧٠ م.

٥- د. مصطفى النصار : نحو تأريخ جديد للفلسفه القديمه -
دراسات في الفلسفه المصريه والنوبانه،
مكتبة الأنجلو المصريه، الطبعة الثانيه،
القاهره ١٩٩٧ م.

٦- د. مصطفى النشار : مدرسة الأسكندرية الفلسفة بين النزوات
النسرفى والفلسفة النوبانبه، دار المعارف،
الفاهره ١٩٩٥م.

٧- د. عثمان أمين : الفلسفة الرواقبه، مكتبة الأنجلو المصربه
الفاهره، ١٩٧١ م.

٨- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانبه، مطبعه لحه
الأسلف والرحمة والنشر، الفاهره
١٩٣٢م.

٩- شارل فربر : الفلسفة اليونانبه، ترجمه نبسر شبح
الأرض، منشورات دار الأنوار، بيروت
١٩٦٨م.

- 10- Wedberg (A.): A History of philosophy, Vol.1
Antiquity and the Middle ages, Oxford, 1982.
- 11- Coples ton (F.): A history of philos ophy, Vol.1 Part II,
Greece & Rome, New York, 1962.
- 12- Windlehand (W.): History of Ancient philosophy,
English trans., New York, 1956.
- 13- Greek and Roman Philosophy after Aristotle, edited by
J. L. Saundres, The Free Press, New York 1966.

الفهرس

اسم الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٧
تصدير (لماذا هذا المدخل؟)	٩

(الفصل الأول)

بدايات التفكير الفلسفى

في الحضارات الشرقية القديمة	٢٧
تمهيد: نشأة المعنى الإصطلاحى للفلسفة	٢٩
بدايات الفكر الفلسفى فى الشرق القديم	٣١
أولاً : الفكر المصرى القديم	٣٣
ثانياً : الفكر الصينى القديم	٤٠
ثالثاً : الفكر الفارسى القديم	٤٤
رابعاً : الفكر الهندى القديم	٤٦
خامساً : الفكر البابلى القديم	٤٩
أهم المصادر والمراجع للفصل الأول	٥١

اسم الموضوع رقم الصفحة

(الفصل الثاني)

خصائص الفكر اليوناني

- في عصره الأول ٥٥
- تمهيد ٥٧
- أولاً : إثارة معظم المشكلات الكبرى في الفلسفة ٥٨
- ثانياً: التحليل النقدي لكافة المشكلات الفكرية ... ٦٣
- ثالثاً: الاعتقاد بأن لا شيء يأتي من لا شيء ... ٦٥

(الفصل الثالث)

السوفسطائيون

- وحركة التنوير في الفكر اليوناني ٦٧
- تمهيد ٦٩
- أولاً : آراؤهم في المعرفة الإنسانية والأخلاق ... ٧٠
- ثانياً: آراؤهم السياسية والاجتماعية ... ٧٣

اسم الموضوع رقم الصفحة

(الفصل الرابع)

سقراط

والدعوة إلى معرفة النفس

٧٧ وإعمال العقل في الأخلاق

٧٩ تمهيد

٨٠ أولاً : آراؤه حول النفس والمعرفة

٨١ ثانياً: آراؤه في التوحيد بين الفضيلة والمعرفة

(الفصل الخامس)

أفلاطون

والإتجاه نحو المثال في

٨٥ معالجة مشكلات الإنسان وتفسير الطبيعة

٨٧ تمهيد

٨٨ أولاً: نظريته في الوجود الحقيقي وطرق معرفته

٩١ ثانياً: آراء أفلاطون في النفس وقضايا الإنسان

اسم الموضوع رقم الصفحة

(الفصل السادس)

أرسطو

والإتجاه نحو إقامة التوازن

بين الواقع والمثال	١٠٥
أولاً : مكانته الفكرية	١٠٧
ثانياً: فضل أرسطو على سابقيه	١٠٩
ثالثاً: نظريته في العلم والمعرفة	١١١
رابعاً: نظريته في الوجود	١١٤
خامساً: فلسفته الأخلاقية	١١٥
سادساً: فلسفته السياسية	١٢٢
أهم المصادر والمراجع للفصول من الثاني حتى السادس.	١٣٥

اسم الموضوع رقم الصفحة

(الفصل السابع)

الفكر اليوناني

- في العصر الهلنستي ١٣٩
- أولاً : تعريف العصر الهلنستي ١٤١
- ثانياً: خصائص الفكر اليوناني في العصر الهلنستي ... ١٤٣
- (١) الإمتزاج بين الفكر اليوناني والفكر الشرقي ... ١٤٣
- (٢) الإزدهار العلمي وبداية انفصال العلوم عن الفلسفة .. ١٤٦
- (٣) ظهور الإمبراطورية الرومانية وسيادة القيم السلبية. ١٤٧
- أهم المصادر والمراجع للفصل السابع ١٥٣

مؤلفات أخرى

للدكتور مصطفى النشار

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية
والغربية:

- .. صدرت الطبعة الأولى عن دار النون ببيروت - لبنان ١٩٨٤م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية
بالقاهرة ١٩٨٨م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن مكتبة الأنجلو المصرية
بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٢) نظرية المعرفة عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥م.
 - صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار بالقاهرة ١٩٨٧م.
 - صدرت الطبعة الثالثة عن نفس الدار بالقاهرة ١٩٩٥م.
- (٣) نظرية العلم الأرسطية - دراسة في منطق المعرفة
العلمية عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار بالقاهرة ١٩٩٥م.

(٤) فلاسفة أيقظوا العالم:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار النقاغة للسر والنوزع
بالقاهرة ١٩٨٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن دار الكتاب الحامى بالعين -
الإمارات ١٩٩٠م.
- .. صدرت الطبعة الثالثة عن وكالة روم برس للإعلام
بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٥) نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات فى الفلسفة المصرية واليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة روم برس للإعلام
بالقاهرة ١٩٩٢م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية
بالقاهرة ١٩٩٧م.

(٦) نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفى باللغة العربية:

- صدرت الطبعة الأولى عن مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٩٣م.

(٧) مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة ١٩٩٥م.

(٨) فلسفة التاريخ - معناها ومذاهبها:

- صدرت طبعته الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام
بالقاهرة ١٩٩٥م.

(٩) التفكير الفلسفي للصف الثالث الثانوي الأدبي (بالاشتراك):

- وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة - دار
الخير للطباعة والنشر، دبي ١٩٩٥م.

(١٠) التفكير المنطقي للصف الثالث الثانوي الأدبي (بالاشتراك):

- وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة - دار
الخير للطباعة والنشر، دبي ١٩٩٥م.

(١١) من التاريخ إلى فلسفة التاريخ - قراءة في الفكر
التاريخي عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة ١٩٩٧م.

(١٢) مكانة المرأة في فلسفة أفلاطون - قراءة في محاورتي
"الجمهورية" و "القوانين":

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة ١٩٩٧م.

(١٣) مدخل جديد إلى الفلسفة:

– صدرت الطبعة الأولى عن دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع،
الفاهرة، ١٩٩٧م.

(١٤) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية:

– صدرت الطبعة الأولى عن دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع،
الفاهرة، ١٩٩٧م.

(١٥) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي – (الجزء الأول)
السابقون على السوفسطائيين:

نحت الطبع.

(١٦) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (الجزء الثاني)
السوفسطائيون – سقراط – أفلاطون:

– تحت الطبع.

(١٧) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (الجزء الثالث)
من أرسطو حتى ماركوس أوريلوس:

– تحت الطبع.

(١٨) تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون:

– تحت الطبع.

هذا الكتاب

تمتاز هذه القراءة التي يقدمها الدكتور مصطفى
النشار للفكر الفلسفي عند اليونان ليس فقط بما يحيط به من
وجهة نظر خاصة للمؤلف عن الفلسفة اليونانية
ومصادرها وخصائصه - عصورها المختلفة مما يجد
القارئ المتخصص وغير تاملاته، وإنما أيضاً بتركيزه
فيها على معالجة فلاسفة اليونان الذين تسككوا الإنسان
الأخلاقية والإجتماعية والسياسية بأسلوب سهل وواضح
جعل من الفلسفة اليونانية وقضاياها المختلفة وفلسفتها
أعلامها في متناول القارئ العادي الذي يطمح إلى معرفة
الأساس الذي بنت عليه البشرية فلسفتها وعلمها حتى قبل
قبل الميلاد وحتى الآن .

ولذلك فهو كتاب جديد للقراءة والتأمل

في أن واحد.

عبد عريب